

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

سنة الأورب الشعبي

البخل في الأمثال الشعبية العالمية دراسة مقارنة

رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير

تحت إشراف:

د. محمد حجاج أول

إعداد الطالبة:

نوال بوسيف

لجنة المناقشة:

رئيسا جامعة تلمسان

مشرفا جامعة تلمسان

عضوا جامعة تلمسان

عضوا جامعة بلعباس

عضوا جامعة تلمسان

أستاذ التعليم العالي

أستاذ محاضر

أستاذة التعلم لعالي

أستاذة التعليم العالي

أستاذة التعليم العالي

أ.د. محمد سعدي

د. حجاج أول

أ.د. عبد الحق زريوح

أ.د. بلحاج كاملي

أ.د. مصطفى أوشاطر

المنحة الجامعية : 2010-2011

شكر و تقدير:

أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف د. حجاج محمد أول، الذي كان خير مرشد و معين في بحثي هذا. كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة المناقشين الذين تحملوا عناء قراءة هذه الرسالة و مناقشتها. و لا يفوتني أن أشكر أيضا كل من ساعدني سواء من قريب أو بعيد و أخص بالذكر زملاء الدراسة و العمل.

الطالبة: نوال بوسيف

المقدمة

« الْمَالُ وَ الْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » الكهف، الآية (46) ، يقرّ الله تعالى بهذه الآية بأنّ حبّ المال صفة إنسيّة و مظهر من المظاهر المحببة في هذه الدنيا، فمن ممّا لا يسعى إلى كسبه، بل هناك من يسلك كلّ الطرق إلى ذلك غير مبال أكانت شرعية أم لا، بل قد يؤدي ذلك إلى أن يبیطش أو يُبیطش به، و يتعدى ذلك في أحيان كثيرة إلى الأمم، فنُقاس بالمال قُوى الدول و يُهباب جانب بعضها و يُطمع في جانب أخرى، و به يُبنى صرح أمم جديدة و يُزال مُلك أخرى، بسببه كانت و تكون غالباً الحروب التاريخية، و المغامرات الجغرافية، و الاختراعات العلمية، و الإبداعات الشعرية... فلماذا بعد كلّ هذا ينعت جامع المال بالبخل؟

قد تغمر الواحد منا نشوة فرح و تسامي و هو يسحب من جيبه قدرا من المال ، ضئيلا كان أو كثيرا، و يضعه بين يدي محتاج، فإذا حاولنا أن نفسّر هذه الحالة الشعورية سنجد أن هذا الإنسان قد تعالَى على أنانيته في لحظة ما، و أدرك مسبقا ما قد يدخله من سعادة على متلقي عطيته، لكن تجد آخر يعيش تحت وطأة حبّ الذات فتعمى بصيرته عن اختيار السلوك السوي مع نفسه أو تجاه غيره، و خاصة إذا كان الأمر متعلقا بالمال، فتجده يتفانى في جمعه، و يفنى و هو لم يستغل منه إلا النزر القليل، و تراه عاش و أهله حياة الفقراء، و لا ينكشف سرّ كنزه إلا بعد مماته، هنا بالذات نقول بأنّه أصبحت لهذا الشخص « ملكة البخل ، و الملكة صفة راسخة في النفس تصدر عنها آثارها عفوا بدون روية و لا اختيار» مثلما عبر عن ذلك الناقد المقتر المنفلوطي في نظراته .

و بمفهوم أوضح و أعمق، البخل صفة تطلق على من يملك المال و لا ينفق منه حين يستوجب الإنفاق على نفسه أو أسرته أو أصدقائه أو أقربائه ، حيث يصبح الحصول على المال و احتباسه الهم الأول الذي لا يعلوه هم آخر فيغرق في هوس الثراء ، فيصبح المال غاية وليست وسيلة ، و بذلك يتحكم فيه المال ويستعبده وليس العكس ، و صفة البخل

تطلق على الأغنياء لامتلاكهم الأموال ولا تنفق على الفقراء، و يتساوى في ذلك الرجال والنساء على حد سواء.

و انطلاقا من طبيعة البخل النفسية و السلوكية يمكن أن نفرق بين أنواع عدة من البخل والبخلاء فهناك بخل الحرص والتدبير، والذي غالبا ما غير سلوك صاحبه بالحرص الفريد على المال خارج أسرته.

و هناك بخل الوهم والخداع، و هو الذي لا يشعر الفرد به ويظنه تصرفا طبيعيا ولا يخرج عن المألوف.

ثم بخل الحسد، وصاحبه يعتمد الظهور بمظهر البائس الفقير بعدم امتلاكه للمال تحاشيا لحسد الآخرين، نظرا لإيمانه بالحسد والخوف من ترصد الآخرين له ولثروته وحجبها عن العيون، فهو لا يثق بالناس مهما كانت علاقته بهم ولا يراهم إلا متربصين به و بثروته، أضف إلى ذلك بخل المحافظة، وهذا النوع من البخل ينظر صاحبه إلى مشروعيته في امتلاك المال أكثر من الآخرين، فمن يمتلك أكثر منه إنما هو حق مغتصب من حقوقه لا بد من استرجاعه، فهو يفهم التفوق على الجميع من حيث امتلاك الثروة، ويمتاز هذا النوع بالدقة في المواعيد والالتزام بالاتفاقات وخصوصا المالية، ومن خواصه الطريفة شغفه بامتلاك وتخزين المواد والسلع التافهة التي يزهد بها الآخرون ويكدسها ظنا منه أنها تخزن في ذاتها قيمة كبيرة ستعود إليها في يوم من الأيام القادمة، ويعزي هذا السلوك لهذا النوع من البخل كنتيجة لحرمانهم ما يتمنوه في طفولتهم لأي سبب من الأسباب، فيرون في هذا الاكتناز تعويضا لما فات.

على مستوى آخر تمتد ظاهرة البخل لتتجاوز البخل بالمال إلى البخل بالانفعالات العاطفية، حيث يرى علماء النفس والاجتماع أن ظاهرة البخل لا تتوقف عند البخل بالمال وإنما ما هو أخطر من ذلك حين تمتد إلى حيز المشاعر والعاطفة الوجدانية فقلما نجد بخيلا انفعاليا يتألم مع المتألمين أو يبكي مع الباكين أو حتى يبتهج مع المبتهجين، فالبخل الانفعالي أناني الطبع، نرجسي الشخصية ولا يستطيع أن يشارك الآخرين همومهم ونادرا ما يشعر بالشفقة نحوهم... وبذلك تكون الشفقة المرغوبة من قبل البخل ضريبا من ضروب الإذلال والمهانة للآخر، لأنه لا يتعاطف مع الآخرين إلا لكي يتوهم بأنه الأقوى

وهم الأضعف والأدنى والأقل.

وكم تبدو العلاقات بين الناس جافة و باردة و كريهة حينما يكثر هذا النوع من البخلاء في المجتمع، أو يُبتلى شخص بهذا النوع من الناس في علاقاته ومحيطه الاجتماعي، حيث يضاعف تصرفهم همّ المهموم ومصيبة المصاب وألم المتألم بدل أن يهبّوا لنصرته وتخفيف آلامه وجزعه و مصابه.

هذه النماذج لا تحسن غير توجيه اللوم والتقصير وقلة التدبير و خطل التفكير لمن يتعرض لكارثة أو أذى وخسارة مالية ضاربين المثل بأنفسهم وكيف يملكون من القدرة والحكمة ومن التدبير ما يحصنهم ويجنبهم التعرض إلى المصائب والمحن والكوارث ، وهم يجيدون لغة المؤانسة والمجالسة فيما يعلي من شأنهم ويحط من قيمة وكرامة غيرهم فهم بخلاء في الكلمة الطيبة ناهيك عن الفعل الخير ، بخلاء في المعلومة والنصيحة فلكل ذلك عندهم ثمن لا يمكن التفريط به دون استلام المقابل المالي له، ففراقهم نعمة وجفأؤهم رحمة ومعرفتهم نقمة.

إن البخلاء شديدي الذكاء والمكر والخداع والكتمان ، يتظاهرون بالفقر والحاجة حاقنون حاسدون وقد يصف البعض البخلاء بأنهم يتناولون الطعام بشراهة وبكثرة في الولائم والعزائم وعندما يُقدم إليهم ، بينما يشحون به ويكفون عن تقديمه للآخرين ويوصفون بذوي الوجوه الصفراء القبيحة والملابس الرثة والسكن الوضيع، لا زهدا وتواضعا ولكن حرصا على المال ، فتجد الواحد منهم يعدُّ على منخريه أنفاسها و على عينيه نظراتها و على قدميه خطواتها إن لم تكن جالبة للمال والمنفعة المادية ، لا مكان عنده للجمال والكمال وأي فعل ذي شأن فلا معنى لديه للتضامن والتعاون ناهيك عن التضحية و الإيثار.

يتميز البخيل بعدم تحمل المسؤولية في أي شأن من شؤون الحياة العامة والخاصة ما عدى ما يوفر له الكسب المالي ،فهو يهرب ويتهرب من أية مسؤولية قد تنتج عنها تبعات مالية.

و علينا أن ندرك مدى خطورة الأمر لو شاع هذا السلوك بين أفراد المجتمع الذي يتطلب من أفراد العفة والتضحية والإيثار دفعا لعدوان خارجي أو استبداد داخلي قد يصل حد التضحية بالمال والمُلك والنفس.

أمّا على مستوى المجتمع المدني الحديث الذي يفترض أن تكون به منظمات ينتمي إليها الأفراد بشكل طوعي ويساهمون في ماليتها ونفقاتها من دخلهم الخاص لخدمة هدف عام ومبادئ يؤمنون بها، تحولت بسبب هذه الطينة من الناس إلى منظمات نفعية ووسائل كسب وارتزاق تحت شعار هدف إنساني عام، وهذا أشاع قيم الفساد والرشوة والأنانية على القيم الاجتماعية الإيجابية .

و كنتيجة حتمية و أولية لما سبق فإن ما يميز البخيل هو سلوكه الاجتنابي ، يتجنب كل ما يؤدي إلى إنفاقه، وبالتالي تجنبه وابتعاده عن إقامة العلاقات الاجتماعية العامة، و مرد ذلك إلى شكه وريبته ومن ثم إلى العدوانية أحيانا أو إلى القطيعة مع الآخر.

و من النتائج الأخرى للبخل انعكاس سلوك أحد الوالدين أو كليهما واتصافه بأحد صنوف البخل والتقتير سلبا على عموم الأسرة وخصوصا الأبناء فيطبعهم بطابع البخل والتقتير ويورثهم هذا السلوك المذموم الذي قد يؤدي في حالات كثيرة إلى تفكك الأسرة وقتور العلاقات الأسرية بين أفرادها لأنها ستكون مبنية على النفع والكسب المادي و ليس على الأحاسيس والعواطف الإنسانية التي تبني عليها الأسرة، وقد يؤدي هذا السلوك إلى انحرافات خطيرة من قبل أحد الوالدين أو كليهما وخصوصا زوجة الرجل البخيل وأولاده وبناته حينما لا يتطبعوا بطباعه ويقف بخل رب الأسرة دون تحقيق طلباتهم وحاجاتهم الضرورية.

أما البخلاء أنفسهم فيبررون نهجهم وبخلهم بمبررات وادعاءات زائفة لا تصمد أمام المناقشة وقوة البرهان الذي يثبت زيفها ،ومن تصوراتهم التي يدلون بها أنهم يرون في المال القوة القاهرة التي يمكن أن تصنع المستحيلات، ومنهم من يرى أنه إنما يسلك سلوك الزهاد والأتقياء وتمثل خصائصهم وهو ادعاء باطل شكلا ومضمونا فالزهاد والأتقياء لا يمسون على مال ولا يحزنون على مال ولا يخزنون ذهبا كما هو حال البخلاء حيث تمكنوا من السيطرة على غرائزهم في حب المال والملبس والمسكن والأكل خدمة للصالح العام وزهدا في المال وكنزه.

و يُبرر البعض فعل البخل من أجل أبنائهم ومستقبلهم في الوقت الذي حرّموهم من أبسط الحقوق والاحتياجات الضرورية و يتساوى في هذا الفعل والسلوك من له أبناء ومن

ليس له أبناء مما يبطل ويدحض هذه الحجة.

وقد يسوقون لك العشرات من الذرائع والحجج لإقناع أنفسهم المريضة وإقناع منتقديهم بصواب تصرفاتهم وسلوكياتهم.

مما سبق يمكن الاستخلاص بأن البخل قضية نفسية أخلاقية اجتماعية شائكة تتنافى وقيم المجتمع السليم، بالية بلى الإنسان، ولما كان الأدب صورة تعكس واقع المجتمع، فقد شكل البخل و البخيل نموذج إنسانيا ألهم المبدعين قديما و حديثا في مختلف الأشكال الأدبية، خرافة كانت أو قصة أو مسرحية...، و قد أثار انتباهنا خلال دراستنا النظرية، ففكرنا في معالجته من خلال فن المثل الشعبي باعتبار المثل عموما من التعبيرات الموهلة في القدم و المتواجدة لدى مختلف الأمم، إنه عصارة التجارب الحياتية الواقعية، المختصر لقناعات الناس، و حتى يكون العمل أكثر شمولية ، حاولنا أن نشمل الموضوع لأهم اللغات العالمية، حتى نرى نقاط التلاقي و الافتراق في مواقف الأمم من هذه القضية.

و كأي بحث لا بد من وجود معوقات، و بالنسبة لبحثنا فأهم عقبة تمثلت في كثرة الفنون الأدبية و غزارة المادة المُعالجة للموضوع، فكان لا بد علينا إتباع خطة الجمع و التصنيف، من جهة على مستوى الأدبيين العربي و الغربي، و من جهة أخرى على مستوى الأشكال الأدبية (مثل فصيح، مقامة، رسالة، قصة، مسرحية، خرافة...) بالإضافة إلى فن السينما، و قد استهلينا كل ذلك ببعض ما قاله الله تعالى باعتباره أبلغ كلام، ثم ببعض مما قاله الرسول - صلى الله عليه و سلم - كثنائي أبلغ تعبير.

و قد حاولنا التعليق على بعض الأجزاء، و أخرى اكتفينا فيها بالجمع فقط، و هذا كله كان في الفصل الأول.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه للدراسة المقارنة للأمثال الشعبية المتناولة للموضوع في أهم اللغات العالمية ابتداء باللغة العربية، هذا بعد أن جعلنا جزءه الأول مجالا عرفنا فيه مصطلح المثل بصفة عامة و الشعبي بصفة خاصة، من خلال مصادر قديمة و مراجع حديثة.

و قد انطلقنا في هذه الدراسة من إشكالية بسيطة و واقعية: هل معنى البخل هو نفسه

في جميع الأمثال مهما تعددت اللغات؟ هل تصرفات البخيل متشابهة في مختلف المجتمعات؟ هل تميز عادات و تقاليد الأمم تغير من نظرتها إلى الشحيح؟ هل البيئة حاضرة في طريقة التعبير عن هذه الظاهرة و هذا النموذج البشري؟...
و كإجابة عن هذه التساؤلات، قمنا باستخلاص أهم أوجه التشابه و الاختلاف في مواقف شعوب هذه الأمم من مسألة البخل و المال و علاقة الشخص به و علاقته بالقيم الإنسانية.

لكن خلال دراستنا واجهتنا مشكلة تعدد اللهجات العربية، و كحل لها، اخترنا لهجات متفرقة من البلاد العربية تمثل أهم مناطقها و هي كالتالي: الجزائرية، المصرية، الشامية، الخليجية، ثم بقية اللغات و التي سقناها، مهما كان أصلها، باللغة الإنجليزية بالإضافة إلى الفرنسية، و كنا هنا مجبرين على ترجمتها إلى اللغة العربية.
و فيما يخص المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها، فنتوزع على ما هو مكتوب باللغة العربية و الفرنسية و الإنجليزية، و في هذه المرحلة تجسدت لنا صعوبة ترجمة الكم الهائل للآثار الأجنبية، و إن كنا لا نخفي ما وجدناه من متعة في عملية الترجمة في حد ذاتها، و في اطلاعنا على أعمال لكبار الأدباء، و إذا كان بعض الباحثين يواجهون مشكلة ندرة المادة، فالعكس بالنسبة إلينا، فقد وجدنا أنفسنا أمام مادة غزيرة و متنوعة، و بالتالي صعوبة حصرها و ترتيبها.

الفصل الأول:

المبطل في الأدب العالمية

(جمع و تصنيف)

الباب الأول:

البطل في الأدب العربي

أ/ في القرآن:

من أسماء الله الحسنى: الغني، المغني، المعطي، الرزاق، الباسط، الكريم، أسماء تفضي في الأخير إلى معنى مشترك هو ملكية الله للنعم و إنعامه بها على عباده، فكان الغني و الفقير، و كأبسط حمد منهم له، عليهم أن يتشاركوا فيها لا أن يبخل مترفونهم بها على معوزيهم.

على هذا الأساس، نرى ذمّ "البخل و الشح" و مدح "السخاء و الكرم" و اردا بشكل واسع في الآيات القرآنية، فمما يؤكد الله تعالى عليه هو تجرد الإنسان من صفة الكرم بقوله: « قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا »⁽¹⁾، و بخل الإنسان مرده إلى خوفه من افتقاره، ناسيا أن الرزاق بيد الله، يقول تعالى في هذا السياق: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا»⁽²⁾، كما يظنّ الإنسان أنه بتقتيره يحافظ على ماله و في الواقع لا يجني إلا المآسي، يعبر الله تعالى عن هذا: «وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَللَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»⁽³⁾. و الأشنع و الغريب في طريقة تفكير البخيل أنه كما لا وجود فإنه لا يجب ذلك من الآخرين، يوضّح تعالى ذلك: « الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا »⁽⁴⁾، و عليه فمن البديهي أن يكون عقاب الله للبخيل عسيرا يوم القيامة، و هو ما ينذر به بقوله: «وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَعْنَى، وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى»⁽⁵⁾، و لكن قبل أن يكون العقاب الأخروي سيكون العقاب الدنيوي، و في ذلك يضرب الله لنا الأمثلة فيقول عن "قارون" *، الذي يمثل

(1) الإسراء، الآية 100.

(2) البقرة، الآية 39.

(3) آل عمران، الآية 180.

(4) النساء، الآية 37.

(5) الليل، الآية 8-10.

* قارون: هو ابن عم النبي سليمان.

صورة بليغة لمفهوم التكبر و الغرور و البخل، فكان عبرة لمن اعتبر: «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ»⁽¹⁾.

و في ذلك أيضا يروى لنا قصة أصحاب الجنة* : «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَ لَا يَسْتَنْتُونَ فُطَافَ عَلَيْهَا طَائِفًا مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ»⁽²⁾، «وَ مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ»⁽³⁾.

و في المقابل فإن من تغلب على نفسه و الشيطان، و تيقن أن للناس نصيب فيما يملك، و عمل على إرضاء الله، فأعطى و تصدق، فجزأوه الفلاح في الدنيا و الآخرة، يقول تعالى في ذلك: «وَ الدِّينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»⁽⁴⁾ و أيضا: «وَ يُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَتْ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»⁽⁵⁾.

(1) القصص، الآية 76-77.

* مختصر قصة أصحاب الجنة، أنه كان في غابر الزمن رجل مسن يملك بستانا مليئا بالخيرات يؤتي منه الفقراء و المساكين، كما كان له خمسة أولاد أربعة منهم أشقاء يرون صدقات أبيهم تذييرا. مات الأب و جاء وقت قطف الثمار و انتظر الفقراء نصيبهم كالعادة، لكن الأبناء الأربعة قرروا ألا يمنحوا شيئا، رغم تحذير أخيهم الأوسط لهم، و قرروا أن يقطفوا الثمار في الصباح الباكر قبل أن ينهض الناس، لكن الله تعالى سلط نارا أهلكت بستانهم، و حين أفاقوا و ذهبوا إليه لم يتعرفوا عليه، ثم أدركوا حجم ذنبهم.

(2) القلم، الآية 180.

(3) التوبة، الآية 75-77.

(4) الفرقان، الآية 67.

(5) الحشر، الآية 9.

ب/ في الحديث:

قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم- صلى الله عليه و سلم-: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»⁽¹⁾، و الخُلُق العظيم ينفي عن صاحبه البخل و هو ما يثبت الرسول -عليه الصلاة و السلام- فهو المثل الأعلى و القدوة الحسنة، و الرجوع إلى كتب سيرته كفيل بأن يؤكد هذا، و ممّا ورد فيها ما روي في الحادثة التالية: فعن جبير بن مطعم ، أنه بينما و هو يسير مع الرسول و معه الناس مقفلة من حنين علق رسول الله الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمره، فخطفت رداءه، فوقف رسول الله- صلى الله عليه و سلم- وقال: «أعطوني ردائي، لو كان عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً و لا كذوباً ولا جباناً»⁽²⁾.

و حين يصف الرسول - صلى الله عليه و سلم- البخل يقارنه بالسخاء، فعن ابن عباس قال: «الجود من جود الله، فجودوا يجد الله عليكم، ألا إن الله خلق الجود فجعله في صورة رجل، و جعل أسّه راسخاً في أصل شجرة طوبى، و شيّد أغصانها بأغصان سدره المنتهى، و دلّى بعض أغصنها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة، ألا إن السخاء من الإيمان، و الإيمان في الجنة، و خلق البخل من مقتته، و جعل أسّه راسخاً في أصل شجرة الزقوم، و دلّى بعض أغصانها إلى الدنيا؛ فمن تعلق بغصن منه أدخله النار، ألا إن البخل من الكفر، و الكفر في النار»⁽³⁾.

وقد ضرب المثل بالمنفق و البخيل في عدة مواضع، منها ما رواه أبو هريرة عنه إذ يقول: «مثل المنفق و البخيل كمثل رجلين عليهما جنتان أو جبتان من لدن ثديهما إلى تراقيهما، فإذا أراد المنفق أن ينفق سبغت عليه الدرع، أو مرت حتى تجن بناته و تعفو أثره، و إذا أراد البخيل أن ينفق قلصت، و لزمته حلقة موضعها حتى تأخذ بعنقه، أو ترقوته، فهو يوسعها و لا تتسع»⁽⁴⁾.

(1) القلم، الآية 04.

(2) البغدادي حمد بن علي بن ثابت الخطيب، البخلاء، مؤسسة الكتب الثقافية، ط 1، 2000، ص 35.

(3) المرجع نفسه، ص 41.

(4) المرجع نفسه، ص 43.

كما يؤكد أن أدوى الداء هو البخل، و في ذلك يروي أبو هريرة حادثة عن الرسول - صلى الله عليه و سلم - جاء فيها: قال الرسول: «من سيدكم يا بني لحيان؟» قالوا: سيدنا جدّ بن قيس، إلا أنه رجل فيه بخل، قال رسول الله- صلى الله عليه و سلم-: «وأي داء أكبر من البخل؟»⁽¹⁾.

كما يعتبر طعامه داء فعن نافع بن عمر قال الرسول- صلى الله عليه و سلم-: «طعام السخي دواء- و قال التتوخي " شفاء" ، و طعام الشحيح داء»⁽²⁾.

و مهما كان حجم مال البخيل فمصيره إمّا للزوال بدليل قوله- صلى الله عليه و سلم-: «من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه، فإن لم يقم بتلك المؤونة عرض النعمة للزوال»⁽³⁾.

و إمّا قد يهلك صاحبه كما عبّر عن ذلك الرسول - صلى الله عليه و سلم-: «إياكم و الشح، فإنّ الشح أهلك من كان قبلكم»⁽⁴⁾. و إمّا قد يتحول إلى الوارث: فعن الحارث بن سويد: قال عبد الله: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم-: «أئكم ماله أحبّ إليه من مال وارثه؟ قالوا: يا رسول الله ما منا من احد إلا ماله أحبّ إليه من مال وارثه. قال: اعلّموا ما تقولون. قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله. قال: ما منكم رجل إلا مال وارثه أحبّ إليه من ماله. قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: إنّما مال أحدكم ما قدّم، و مال وارثه أجل»⁽⁵⁾.

و المؤمن من حسنت أخلاقه جميعها، فلا ينبغي أن يكون بخيلاً؛ فعن أبي هريرة قال الرسول: «لا يجتمع الشحّ و الإيمان في قلب عبد»⁽⁶⁾، و إذا كان البخيل مبعوضاً من الناس

(1) البغدادي حمد بن علي بن ثابت الخطيب، البخلاء، ص47.

(2) المرجع نفسه، ص46.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 7، دار الكتاب العلمية، ط1، 1983، ص195.

(4) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستطرف، دار صادر، بيروت، ط3، 2007، ص225.

(5) البغدادي، البخلاء، ص270.

(6) المرجع نفسه، ص63.

فكيف لا يبغضه الله تعالى؛ فعن أبي ذرّ الغفاري قال رسول الله -صلى الله عليه و سلم-
:«ثلاثة يبغضهم الله تعالى: البخيل و المنان، و الفاجر»⁽¹⁾ ، و بالتالي لا يسمح الله له أن
يجاوره في الجنة؛ فعن ابن عباس قال الرسول:«إن الله-تبارك و تعالى- غرس جنة عدن
بيده، و زخرفها، و أمر الملائكة فشقّ فيها الأنهار، فتدلت فيها الثمار، فلما نظر إلى
زهرتها و حسنها، قال: و عزتي، و جلالتي، و ارتفاعي فوق عرشي، لا يجاورني فيه
بخيل»⁽²⁾.

و عن عمر أنّ النبي - صلى الله عليه و سلم- كان يتعوّذ من خمس:«من البخل، و الجبن،
و فتنة الصدر، و عذاب القبر، و سوء العمر»⁽³⁾.

(1) البغدادي، البلاء ، ص 59.

(2) المرجع نفسه، ص 84.

(3) إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج 1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2002، ص 307.

ج/ في الفنون الأدبية:

يُعرف العربيُّ بكرمه و حسن ضيافته مهما كانت ظروفه، و إنّه ليؤثر المرءَ النَّازل عليه على نفسه و عيَّاله و إنْ كانت به خصاصة، و لطالما تفاخر العرب بهذه الخصلة و قيلت فيها و في أصحابها الأشعار و رويت الروايات و ضربت الأمثال، فمن البديهي أن يكون البخل و البخيل ممّا مقته العربي و ذمّه قولاً و فعلاً.

و عندما ظهر التأليف و الجمع و التصنيف تلاحقت المصادر التي تتخصص كلياً في هذا الموضوع أو تخصص باباً من أبوابها له إما تعريفاً أو شرحاً أو إشارة إلى أحسن ما قيل فيه، لذا ربما ستطول جولتنا و تتعدد محطاتها.

* الشعر:

لقد أحاط الشعراء بكل ما يتعلق بالبخل كصفة و سلوك متفرد له تأثير على نفسه و على بقية الأفراد، مستنبطين من ذلك المعاني و العبر و الأمثال التي لا تختلف نظرة الناس إليها مهما تغيرت الأحوال و الأزمان، فمّمّا وصلوا إليه الأحكام التالية:

البخل أشرّ الأخلاق: إذ يخيّر أبو محمد القاسم بن محمد الأنباري نفسه بين الفقر و البخل فتنفضل الأول ثقةً منها بأن ضرر الفاقة أرحم من عار الشح، و يعبر عن ذلك بقوله:

خيّرت نفسي بين الخصاصة و الـ بخل، فقالت: نصيحة شفقاً

البخل عار يبقى، و لا عار بالفقر، و شرّ العيوب ما لصقا

فاختارت الفقر من تكرماً و قالت: البخل شرّ ما خلقاً (1)

و من أسباب بخل البخيل سوء الظن بالله، يقول في ذلك محمود الوراق:

من ظنّ بالله خيراً جاد مبتدئاً و البخل من سوء ظنّ المرء بالله (2)

و أيضاً الخوف من الفقر، يقول أحدهم:

أمن خوف فقر تعجّلته و أخرّت إنفاق ما تجمع

(1) البغدادي، البخلاء، ص 100.

(2) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج 7، ط 1، ص 191.

- (1) فصرت الفقير و أنت الغني
لذا تراه يمنع ما لديه متحججا بالصوم تارة، و يقول في ذلك أبو عكرمة:
أتيت عمرا سحرا
فقلت: إني قاعد
فقلت: أتيك غدا
أو بالصلاة تارة أخرى، يقول أحدهم:
تراهم خشية الأضياف خرسا
و تبلغ الوقاحة به أن يسيئ الضيافة، عن عبد الله بن المعتز قال بعضهم:
عود لما بت ضيفا له
فبت و الأرض فراشي و قد
و لا يفي أبدا بمواعيده، قال الحسن بن أبي بكر بن شاذان:
خلوا سبيل العلى لغيرهم
يحتاج راجي النوال عندهم
كنوز قارون أن تكون له،
و أكثر ما يبخل به هو الطعام: قيل في وصف بخل الأصمعي على لسان أبي عبيدة معمر
بن المثنى:
عظم الطعام بعينه، فكأنه
لذا ترى أوانيها دائما نظيفة لأنه لا يطبخ فيها، و في ذلك أنشد رجل المبرد لأبي نواس:

(1) ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج 7، ص 189.

(2) المرجع نفسه، ص 108.

(3) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص 229.

(4) المرجع السابق، ص 192.

(5) البغدادي، البخلاء، ص 169.

(6) المرجع نفسه، ص 115.

قدر الرقاشي مضروب بها المثل
تشكو إلى قدر جارتى إذا التقيتا
و يغلق عليه بابه إذا أراد الأكل، قال إبراهيم بن عمر بن حبيب في هذا السياق:

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم
كما أنه يحرص على الأشياء غير ذات قيمة، قال هلال بن عبد الله الطيبي:

مجتمع بالكلب لكنّـه
لو سقطت من فمه لقمة
بل قد يبخل بما لديه و يجود بعرضه، قال مخلد الموصلي:

فمتى لا يغار على عرسه
يد البخل قد شبكت كّفـه
و مهما يكن فإن مال البخيل فمصيره إما حدث يأخذه، أو وارث ينتفع به، و في ذلك يقول

أحدهم: يفني البخيل بجمع المال مدته
ودودة القزّ ما تبنيه يهدمه
و ذي حرص تراه يلمّ و فرا
و يقول آخر:

و هبني جمعت المال ثم خزنته
إذا خزن المال البخيل فإنه

لكل شيء سوى النيران تُبتذل
اليوم لي سنة ما مسني بلل (1)

و استوثقوا من رتاج الباب و الدار
قالوا لأمّهم بولي على النار (2)

يفزع أن يسمع من نبجه
في سلحة* عضّ على سلحه (3)

و لكن يغار على خبزه
و كفّ السماحة في عجزه (4)

و لحوادث و الأيام ما بدع
و غيرها بالذي تبنيه ينتفع
لوارثه و يدفع عن حماه (5)

و حانت وفاتي هل أزداد به عمرا
سيورثه غمّا و يعقبه وزرا (6)

(1) البغدادي، البخلاء، ص 134.
(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج 7، ص 209.
* السلحة: الروثة.
(3) المرجع نفسه، ص 151.
(4) المرجع نفسه، ص 120.
(5) المرجع نفسه، ص 519.
(6) الأبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص 226.

بالإضافة إلى كره الناس له، يقول أحدهم:

و أمرة بالبخل قلت لها أقصري
أرى الناس إخوان الكريم و ما أدري

فليس إليه ما حبيت سبيل
بخيلا له في العالمين خليل⁽¹⁾

(1) إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، ج 1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2002،

* المقامة:

ابتكر الهمذاني فنّ المقامة و أثار بها إعجاب القراء و الكتاب على السواء، و قلّده المتقدمون و المتأخرون، أبرزهم الحريري و الزمخشري، و قد اتخذ الهمذاني الكدية سبيلا ينال من خلاله البطل "أبو الفتح الإسكندري" المال متمصا مختلف الشخصيات، مستغلا بلاغته، فمن إمام كما في المقامة الأصفهانية⁽¹⁾، إلى مكفوف كما في المقامة "المكفوفية"⁽²⁾، أو رجل عائد من بلاد الروم مفتقر بعد الغنى، يستجدي القوم، و هذا في المقامة "القزوينية"⁽³⁾... و الذي يفسر هذا السلوك هو بخل البطل و عدم اكتفائه بما يملك، و يتأكد لنا ذلك في المقامة "الكوفية"⁽⁴⁾، بعد أن أجاد في استجدائه كالعادة قال:

لا يغرّك الذي أنا فيه من الطلب
أنا في ثروة تشق لها بردة الطلب
أنا لو شئت لاتخذ ت سقوفا من الذهب⁽⁵⁾

و يتأكد لنا هذا أكثر في المقامة "الوصية"⁽⁶⁾، فبعد أن جهز أبو الفتح الإسكندري ابنه للتجارة، قدم له وصية تعينه في حياته و عمله فجاء منها تكشف عن قمة البخل منها قوله: «... لا آمن عليك لصين: أحدهم الكرم، و اسم الآخر القرم، فأياك و إياهما، إن الكرم أسرع في المال من السّوس، وإن القرم أشأم من البسوس و دعني من قولهم إن الله كريم، إثمها خدعة الصبي عن اللبن...»⁽⁷⁾.

ثم ينهاه و ينهانا عن السخاء لأثّه - حسبه- كرم الله لا يعود عليه بالنقصان و لا بالضرر

(1) الهمذاني، مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، المكتبة الأزهرية، 1923 ص 57.

(2) المرجع نفسه، ص 85.

(3) المرجع نفسه، ص 94.

(4) المرجع نفسه، ص 28.

(5) المرجع نفسه، ص 32.

(6) المرجع نفسه، ص 304.

(7) المرجع نفسه، ص 305.

بينما ينقصنا نحن كبشر و يضر بنا.

و عليه يوجهه إلى كيفية التصرف حتى يحافظ على أمواله فيقول: «...إنه المال- عافاك الله- فلا تنفقن إلا من الربح ، و عليك بالخبز و الملح، و لك في الخلل و البصل رخصة، ما لم تدمّهما*، و لم تجمع بينهما، و اللحم لحملك ما أراك تأكله، و الحلو طعام من لا يبالي على أي الجنبيين يقع، و الوجبات عيش الصالحين، و الأكل على الجوع واقية الفوت**، و على الشبع داعية الموت، ثم كن مع الناس كلاعب الشطرنج: خذ كل ما معهم و احفظ كل ما معك...» (1).

أما الزمخشري و لعلمه أنّ القناعة و الطمع هما كفتا ميزان، رجحان إحداهما يحدد بخل الرجل من كرمه، لذا تراه يشرح معنى القناعة و إيجابياتها و الطمع و سلبياته حين يتوجه إلى أبي القاسم - مخاطبه في كل مقاماته - و مما قال: «القناعة مملكة تحتها كل مملكة، مملكة لا سبيل عليها لمهلكة، لا يتوقع صاحبها أن يفتر بعد غنيته، و لا يقع النفاذ في كنزه و قنيتة***... إن القانع أصاب كل ما أراد و زاد، و لن تجد حريصا يبلغ المراد...» (2).

أمّا الحريري فلم يكتب مقالة بعينها خاصة بالبخل، و إنما يشير إليه في ثنايا بعضها، في معرض مقارنته بالجود، كما في المقامة "الدينارية" (3) فتراه يمدح الدينار تارة و يذمه تارة أخرى (إنه رمز بخل البخيل)، و المقامة "الساوية" (4)، يقف فيها أبو زيد بالمقابر واعظا، و مما وعظ به طبعاً الإشارة إلى مساوي البخل.

* ما لم تداوم عليهما .

** الفقر.

(1) المرجع نفسه، ص 305.

*** ما يُقتنى من المال.

(2) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 3،

2004 ، ص 73.

(3) أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، مقامات الحريري، مطبعة المعارف بيروت،

1873، ص 33.

(4) المرجع نفسه، ص 103.

* القصة:

من العسير حصر القصص و الحكايات التي تُروى في شأن البخل و البخلاء، فالتراث العربي حافل بها، سواء الواقعية منها أو الخيالية، منها ما ورد في باب من أبواب الكتب الجامعة للأدب العربي ككتاب "الإمتاع و الموانسة" لأبي حيان التوحيدي، "المستطرف في كل فن مستظرف" الأبيشي، "نهاية الأرب في فنون الأدب" لشهاب الدين أحمد عبد الوهاب التويري، "نثر الدر" للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الأبي، "عيون الأخبار" لابن قتيبة... و منها ما خصّص له كتاب كامل ككتاب "إتحاف النبلاء بأخبار الكرماء و البخلاء" لجمال الدين بن المبرد الدمشقي الحنبلي، و "البخلاء" للخطيب البغدادي، و طبعا تحفة الجاحظ "البخلاء" الذي أبدع به في هذا المجال، و هو ما سنرکز عليه كنموذج مميز في مجال القصة.

يذكر الجاحظ في مقدمة كتابه دافعه إلى كتابته و هو الفائدة التي حققها كتابه " تصنيف حيل لصوص النهار و تفصيل حيل سراق الليل" فسأله أحد أصدقائه أن يفصل في شأن البخلاء⁽¹⁾.

فحاول فيه الإجابة عن تساؤلات فرضتها سلوكات الأشحاء و غرابة منطقتهم كاشفا لنا بذلك عن نظرة شاملة عن نفوس البخلاء، جامعا فيه بين الجد و الهزل، فهو يعجب من تسميتهم البخل اقتصادا و المنع حزما و الكرم إسرافا و جهلا، و لم يرضون بالدم بدلا من المدح؟ و لم يجاهدون أنفسهم بضيق العيش، يعرف الواحد منهم أن أعدى عدوه هو وارثه و مع ذلك يجهد في الجمع له، ثم إنه فطن لبخله و لكنه يحتج لذلك بأبلغ الحجج منبئا بذلك عن ذكاء و فصاحة تعجز الرائي و السامع عن فهم هذا التناقض الرهيب الذي لا يمكن الاصطلاح على تسميته إلا بالمرض النفسي، فكان الجاحظ بذلك محللا نفسيا و مصلحا اجتماعيا و كاتباً مسرحيا و رساما كاريكاتوريا... جعل الدراسات تنصب على هذا الأثر، عربية و أعجمية، فلا تنفك تخرج في كل مرة بوجهة نظر، من ذلك ما رآه فاروق سعد في كون ظاهرة البخل

(1) الجاحظ، البخلاء(المقدمة)، مراجعة فتحية عبد الوهاب، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، 2009،

أوجدها الواقع الاقتصادي المتنامي لبيئة الجاحظ، لأن المجتمع العربي صار مزيجاً بين كيانات اقتصادية و اجتماعية جديدة تصادمت مع قيم العرب المتأصلة، منها الكرم الذي بدأ يتضاءل أمام استفحال ظاهرة البخل بفعل هذه التغيرات ، و كشكل من أشكال المقاومة لهذا التحول، على الأقل على المستوى الشعوري، ظهر كتاب الجاحظ⁽¹⁾. هذا من ناحية الدافع، أما من ناحية الموضوع فقد كان الجاحظ منوعاً مبتكراً للأحداث مهتماً بأدق التفاصيل» فننتعرف على عادات المائدة، كما نتعرف على أدواتها، و كيفية التعامل مع الضيوف، كما تعرّفنا (أي القصص) على العادات التي تخص البخلاء في حياتهم اليومية»⁽²⁾.

أما الأبطال فمعظمهم حقيقيون عاصروا الجاحظ ، مختلفو المهن، فمنهم الملاكون الكبار كالكندي، ومنهم الاقتصاديون من رجال المال و التجارة كالمدائني و الثوري و زبيدة بن حميد، و منهم اللص كخالد بن يزيد المكدي، و منهم الأديب كسهل بن هارون و ثمامة بن أشرس و أبو الهذيل العلاف، و هناك القضاة و الأطباء و الولاة و الفقهاء. أما في تصوير الجاحظ لهم، فهو يختلف عن موليير « فالبخيل عند موليير يتعرض لأنواع شتى من الصراعات النفسية ، و يحلل أعماق شخصيته، و يصفها في مواقف ساخرة، تتميز بالعنف، الذي يصل إلى حدّ التجريح.

أما الجاحظ فهو يهدف إلى المتعة و التسلية، و لا يضع مشروطاً داخل شخصيته، فيحللها و يمزقها، إنه يكتفي بوضع "مطبات" تحاول أن تثير الضحك، و أن تعدّل من سلوك الشخصية دون تجريح أو قسوة، و لكن بقدر من التعاطف و الحنو، يهدف إلى إضحاك المتفرّج و المتفرّج عليه معا»⁽³⁾.

(1) فاروق سعد، مع بخلاء الجاحظ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1992، ط 6، ص 18.

(2) ماجدة حمود، مقاربات في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 145.

(3) محمد عبد الرحمن الربيع، نوادر البخلاء(نصوص و دراسة)، دار الشروق، بيروت، 1999، ط

معتمدا في ذلك على ما يرسمه من أوصاف و أشكال لتلك الشخصيات، ثم ما يعرضه من تصرفات لهم، بالإضافة إلى ما يصدر من أفواههم.

و إذا انتقلنا إلى اللغة المستعملة فنجدها متنوعة، مرحة، قادرة على التعبير عن أدق التفاصيل، إنّ «مفردة واحدة، لغنى دلالتها و روعة إيقاعها، قادرة على تجسيد حالة نفسية أو صراعا داخليا (كلفظة تنفير أو تننيف) فمثل هذه اللفظة تجسد مجموعة حركات عصبية لتعلن توتر الشخصية»⁽¹⁾.

أما الحوار فيشكل عنصرا أساسيا في قصص الجاحظ، و أحيانا يكون هو صلبها حتى تظن نفسك أمام مشهد مسرحي هزلي⁽²⁾.

قد لا يسمح المجال للإطالة في الموضوع، لكن نكرر و نقول بأن الجاحظ استطاع أن يغوص داخل نفسية البخيل و يكشف كثيرا من خباياها، كما منحنا صورة لمجتمع عصره يعجز المؤرخ منحها، و هذا ما لم يستطع تقليده أحد من الكتاب اللاحقين رغم التطور في مجالي علم النفس و الاجتماع في العصر الحديث.

(1) ماجدة حمود، مقاربات في الأدب المقارن ، ص 150.

(2) المرجع نفسه، ص 153.

* الرّسالة :

لم تكن الرسالة بالنسبة للأدباء وسيلة للاطمئنان على الأهل و الخلان، و إنما كانت أيضا وسيلة لإبداء آرائهم فيهم و يهّم مجتمعهم من شؤون الحياة المختلفة، و الرسائل التالية مما كتبت في مناقشة مسألة البخل.

رسالة سهل بن هارون (1):

يرُد سهل بن هارون من خلال هذه الرسالة على بني عمه من آل رهبون الذين عابوا عليه بخله، و يظهر من خلال ذلك و كأنه يمتهن البخل عن تحليل و إدراك و اقتناع، و ليس طبعا تطّيع عليه، أو انتقل إليه وراثته، ذلك من خلال ما يورده من أسباب و علل لتصرفاته، مستشهدا بأقوال للرسول -صلى الله عليه وسلم- و بأقوال الخلفاء و التابعين الذين عرفوا بالتقشف و الزهد (عمر بن الخطاب، و الإمام علي بن أبي طالب، الحسن البصري...)، كما وجدناه يستعين بأقوال حكماء العرب بما يخدم غرضه، و يدافع به عن مذهبه في ضرورة الحكمة في صرف المال كالأحنف بن قيس.

رسالة أبي العاص بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي (2):

بعث بها إلى أحد من قومه يستهجنه فيها على مجالسته البخلاء كأصمعي و سهل بن هارون و إسماعيل بن غزوان...، و إعجابه بأفكارهم و تقليدهم في سلوكهم و أقوالهم، و أنكر علي ذلك لأنه ليس من شيم ثقيف، ثم اتخذ أبو العاص هذه الرسالة مجالا ليبيّن وجهة نظره في الشّح و الأشحاء ، فإذ كان الله جوادا و رسوله كريما و تباهت هاشم في ذلك على قريش و فضّل العرب على العجم في ذلك...، فكيف بعد هذا يُتخذ البخل مذهباً!!

ثم يرى في تفسيره لهذه الظاهرة بأن البخيل هو من تسوقه شهواته، أو أولع بأشياء و فرط في أشياء أخرى و هو لا يدري أين الصواب و أين الفائدة، كما ينفي أن يكون البخل

(1) الجاحظ، البخلاء، مراجعة فتحية بن عبد الوهاب، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، ط 1، 2009،

مرتبط بالعقل و الذكاء، و إنما هو عادة أو طبيعة في البخيل، ثم ادعأوه بجمعه لأبنائه حجة واهية و لو كان كذلك فلم يحرمهم من كثير مما يطلبون.

رسالة ابن التوأم كرد على رسالة أبي العاص⁽¹⁾:

لأن اسم ابن التوأم، و هو من البخلاء، و رد في رسالة أبي العاص، فقد حز في نفسه ما قيل فيه فرد برسالة بعث بها إلى الثقي بدلا من أبي العاص حتى لا يأخذ الأمر، حسبه، أبعادا أخرى و تطول المهاترة و في ذلك دلالة على السخف.

و ليس هو الآخر لباس الناصح العارف، فاعترف بأن للمال سطوته على النفس فمن الصعب التخلص من حب الغنى و بصعوبة الحفاظ عليه أكثر من الحصول عليه، و العاقل هو من استطاع ذلك، و إلا فالقبر أفضل له.

و قدم في ذلك الحجج الكثيرة، منها أن الله ذم الإسراف، و أن المرء الكريم منافق لأنه لا وجود إلا إذا كانت في نفسه حاجة كالرغبة في الذكر الحسن، أو تألم لحال إنسان ما و هو في ذلك يريد إراحة نفسه، أو خوفا من لسانه أو رغبة في نصرته...

ثم حذر من خداع متكسبي المال بالكلمة كالشعراء و الخطباء فهم خطر سواء أخذوا أو لم يأخذوا... إلى أن يذكره بأن الغني المفتقر يفقد، بالإضافة إلى ماله، حب الأهل و وفاء الصديق و احترام الخدم، كما أنه لا يجب أن يُخدع بالثناء فالأولى إغلاق الباب و اعتزال الناس...

(1) الجاحظ، البخلاء، ص 173.

* المقالة:

تتشترك المقالة و الرسالة في قدرتهما على التركيز في موضوع ما و إيفائه حقّه من الشرح و ذكر أسبابه و مظاهره ثم استخلاص النتائج؛ فمن المقالات التي عالجت موضوع البخل بهذا الشكل:

مقالة "البخيل" للمنفلوطي⁽¹⁾: حاول فيها و بطريقة علمية تحديد مفهوم و أسباب هذه الرذيلة، حيث يرى أن البخل لا يكون كذلك إلا إذا كان يسيطر على النفس البشرية فلا يمكنها أن تتخلص منه إن حاولت ذلك ، و يحدد لها أسبابا سبعة بغض النظر عن اجتماعها في الشخص الواحد أو افتراقها و هي كالتالي:

- 1- الوراثة: و يعدها سببا ضعيفا لأن الأخلاق قد تغيرها الظروف المحيطة.
- 2- التربية: بحيث تنتقل للأبناء و عدوى الشحّ من آبائهم. لكننا نظنّ بأن هذا السبب أيضا ضعيف لأن قصص البخلاء غالبا ما تظهر أهلهم أكثر من يعانون من بخلهم و انتقاما لذلك يتصرفون بعكس ما كان يتصرف آبؤهم في أموالهم (أوجيني غرا ندي بالزاك)، (تاجر البنديقية)...
- 3- سوء الظنّ بالله : و ذلك حين يقلّ أو يغيب الإيمان عند المرء فلا يؤمن بأن الله خلقه و لن يضيعه قال تعالى: «مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا و عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا»⁽²⁾.
- 4- النكبات: و ذلك إذا تركت في المرء مرارة لأنه لم يجد المال ليواجهها به.
- 5- اللوم: إذا كان الإنسان خبيثا لئيمًا، فقد غلب عليه الحقد، فلم يرض الخير للناس، فكيف يعطيهم مما يملك؟
- 6- سقوط الهمة: الإنسان نوعان: طموح يسعى إلى المجد و يعشق أن يشار إليه بالبنان، و آخر غير مبال، لا تستهويه لذة الذكر و لا تزعجه عبارات الدّم، فلا يسلك السّبيل المؤدية إلى الأولى كإسداء الخير للناس.

(1) المنفلوطي، النظرات ج 1 ، الجزائر، 1988، ص 220.

(2) هود، الآية 6.

7- فساد المجتمع الإنساني: و يعني بذلك أن يكون المعيار في حكم الناس على المرء أساسه المال.

«لا فائدة يرجونها، و لا خير يطمعون فيه، بل لأنه ذو مال و ذو المال في نظرهم أحقّ الناس بالمحبّة و الإكرام و الإجلال و الإعظام»⁽¹⁾.

ليخلص في الأخير إلى عدّ البخل ضرباً من الجنون، لأنه لا يمكن تفسير سلوك البخل تفسيراً عقلانياً، فلا هوّ بالعاجز و لا بالزّاهد، و لا بالأبّ المحبّ لأنّ حبّ الشخص يستلزم إسعاده.

لماذا يعمّر البخل؟ لحسن عبد السلام⁽²⁾:

يعالج الكاتب القضية من زاوية جديدة، بإقراره حقيقة مفادها أنّ البخلاء أكثر الناس تعميراً، و أفضلهم صحة، و يفسّر أسباب ذلك انطلاقاً من عادات و طرق معيشة البخل. فالتقليل من الطعام الدّسم، و الابتعاد عن التدخين و الخمر، يحافظ على حيوية الجسم، و عدم اللّجوء إلى الطبيب، و الابتعاد عن الأدوية، يُكسب الجسم مناعة أقوى، و المشي بدل ركوب وسائل النّقل بمثابة رياضة، و الاستحمام بالماء البارد و التّوم مبكراً اقتصاداً للوقود، و تنشيط للأعضاء و راحة للأعصاب، وبالتالي فهو إذ يتصرّف كذلك فإنه يكشف أنّ حرمان الجسم يؤدي إلى تقويته و المحافظة على صحته، و من ثم راحة البال و السكينة، لأنّه في رأينا حقّق غايته بأقلّ المصاريف.

البخل للعقاد⁽³⁾: رأيه بأنّ الجنيّه أو أيّة عملة أخرى ينتقل من مكان إلى مكان آخر، و من شخص إلى آخر، لكنّه يفضل البخل لأنّه يحافظ عليه، و أيضاً في تنبيهه إلى أنّ: «من نعم الله على البخلاء أنّه يجمع لهم بين مزيّتي الغنى و الفقر، فلهم من الغنى المال الكثير و لهم من الفقر الأمن من حسد الحاسدين، و لهم من الغنى القدرة على ما يبتغون من الفقر القناعة بيسير ما يأكلون و يلبسون، و هما مزيّتان لا يجمعهما الله إلا لمن رضي

(1) المنفلوطي، النّظرات ج1، ص 224.

(2) حسن عبد السلام، نحن المعمرون، دار المعارف، القاهرة، 1952، ص121.

(3) المرجع نفسه، ص220.

عنه من عباده!!»⁽¹⁾

و لسننا نعرف هل العبارة الأخيرة هي من باب المدح أم من باب الاستهزاء!! .
كما يجزم بأقدمية البخل عن المال، و لو زال الخير ما زال الأوّل، و الشيء الذي يمكننا أن
نوافق فيه اختلاف نظرة النّاس إلى البخيل إذ فُوبل بمقتهم و نبذهم له في الماضي بعكس
الحاضر حين يقول: «و أمّا في مدينتنا هذه التي وضعت سنّة موضع سنّة الحياة فقد صار
البخيل فيها يحلّ و يبرم، و يؤخّر و يقدم، و يحلّل و يحرم، و يستشفع إليها بيد المال و يد
فيها جنبه و خسته و بلادته فتقبل منه هذه لتلك»⁽²⁾.

(1) حسن عبد السلام، نحن المعمرون، ص 222.

(2) العقاد، الفصول، المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد، القاهرة، ط 01، 1966، ص 214.

* من أقوال عليّ - كرم الله وجهه - المأثورة:

نعلم جميعاً بأن بلاغة عليّ لم تترك شيئاً إلا و أحاطت به، فمما قاله في مجال البخل ما يلي:

جاء في إحدى خطبه: « و قد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمة»⁽¹⁾، لا يجب أن يوليّ الناس بخيلاً عليهم لأن ذلك يطمعه في أموالهم .

كما أن مصادقة الأحمق و البخيل تضر بالمرء يعبر عن ذلك في وصيته: « يا بني، إياك و مصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، و إياك و مصادقة البخيل، فإنه يقعد عندك أحوج ما تكون إليه»⁽²⁾.

لكنه يحبّ هذه الصفة لدى النساء إذ يقول: « خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو، و الجبن، و البخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، و إذا كانت بخيلة حفظت مالها و مال بعلها، و إذا كانت جبانة فرقت من كلّ شيء يعرض لها»⁽³⁾. كما يؤكد ذمامة هذه الصفة لأنها مصدر للشرور فقط بقوله: «البخل جامع لمساوي العيوب، و هو زمام يقاد به إلى كلّ سوء»⁽⁴⁾.

و في مصير أموال البخيل يقول: « يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك»⁽⁵⁾.

و أيضاً قوله: « لكلّ امرئ في ماله شريكان الوارث و الحوادث»⁽⁶⁾.

(1) علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمع: أبو الحسن محمد الرضي الحسن الموسوي، ضبط: الدكتور صبحي الصالح، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، ط 3، 1991، ص 189.

(2) المرجع نفسه، ص 475.

(3) المرجع نفسه، ص 509.

(4) المرجع نفسه، ص 543.

(5) المرجع نفسه، ص 503.

(6) المرجع نفسه، ص 534.

و من أقواله التي صارت تُضرب مثلاً:

- القناعة مال لا ينفذ (1).
- البخل عار، و الجبن منقصة (2).
- ما عال من اقتصد (3).
- الطمع رقّ مؤبد (4).
- من أيقن بالخلف جاد بالعطية (5).
- الطامع في وثاق الذل (6).

(1) المرجع نفسه، ص 478.

(2) المرجع نفسه، ص 469.

(3) المرجع نفسه، ص 494.

(4) المرجع نفسه، ص 501.

(5) المرجع نفسه، ص 494.

(6) المرجع نفسه، ص 508.

* المسرحيّة:

تعودنا على أن يكون معظم بخلاء القصص و المسرحيات و الخرافات رجالاً أمّا أن يكونوا نساء فهو قليل، و هو جديد مسرحية شوقي: ⁽¹⁾ البخيلة التي تجري أحداثها في إحدى حارات مصر أيام حكم العثمانيين و بالضبط في عهد مصطفى كمال أتاتورك، و البطلة هي الستّ نظيفة (البخيلة)، ففضل تفتيرها الشديد على نفسها و على حفيدها و وريثها جمال كونت ثروة كبيرة، لكنه لم يكن راضياً على طريقة عيشها فتراه ينتقدها:

جدّتي ما رأيت قطّ على جسـ مك مذ كنت غير هذه الثياب
بدّلي ثوبك القديم أهذا كفن يرتدى ليوم الحسـاب؟
و على الرّأس ذلك الشّاش و(الأو ية) ملاّ تطاول الأحقاب
قد عفا رقعتهما النشر والط يّ و طول المدّ و طول الخضاب⁽²⁾
و لا راضياً على حرمانها له:

دعيني.....

اتركيني (أفش) جدّة ما بي

والذي مات في الشباب من الحر مان و اليوم تقتلين شبابي⁽³⁾

حتّى اضطرّته إلى سرقتها ذات يوم و ها هي حسنى خادمة البخيلة تعلق على سلوك جمال:

ويح جمال جرؤت على الحرام راحتـه
ما كان لصّاً إنّما جنت عليه جدّته⁽⁴⁾
يا ألف ويلي على جمال انسلّ كاللصّ في الظلام
الفقر و البخل صيّراه من ابن بيت إلى (حرامي)
لو ملأت جدّته يديه ما مدّ اليدا⁽⁵⁾

و لأنّ أهل الحارة كانوا يعلمون أنّ جمال هو الوريث الوحيد فقد، سعى الكثير منهم

(1) أحمد شوقي، مسرحيات شوقي، ج 2، موفم للنشر – الجزائر 1993

(2) (3) المرجع نفسه، ص 354.

(4) المرجع نفسه، ص 346.

(5) المرجع نفسه، ص 347.

إلى مصاهرته، و أقنعه السمسار عبد السلام بخطبة إحدى الفتيات كان اختارها بنفسه. لكنّ الجدّة، و حتى تعفو عنه بعد أن اكتشفت سرقة لها، أمرته بأن يتزوج خادمتها حسنى. تردددا كلاهما ر غم حبّهما لبعضهما، و بعد أيام مرضت الجدّة مرضا مبرحا أتى بأجلها، اكتشف بعدها جمال أنّ جدّته منحت تركتها لخادمتها، فثار و غضب، و لمّا سمعت خطيبته و أهلها بما جرى فسخوا الخطبة، حينئذ عاد إلى حسنى يؤنبها ظانّا بأنّها انفقت مع الجدّة عليه، لكنها أثبتت براءتها، فقرّر أن يتزوّجها، و هنا فقط أعلمته بأن جدته ما حرمته من ميراثه و إنّما تظاهرت بذلك فقط لتكشف له فشل الزّواج اللّذي كان يريد. على الأقلّ نرى شوقي في مسرحيته هذه متفائلا، فحتى و إن كانت هذه الجدّة مقترّة في منح مالها لحفيدها و هي حية، فقد كانت حريصة على ألاّ يخدع من طرف الطامعين في ميراثه.

* الدراما:

من الأعمال البارزة المجسدة لنموذج البخيل المسلسل التلفزيوني المصري المعنون ب: " البخيل و أنا" من تأليف و بطولة فريد شوقي، و الإخراج لحسين عمارة⁽¹⁾.

الباب الثاني:
البطل في الأدب الغربي

* الخرافة و الأسطورة:

من المعروف لدى النقاد و المؤرخين أن إيزوب Ésope هو أبو الخرافة، و من خرافاته واحدة عنونها بالبخیل⁽¹⁾، يصف فيها بخيلاً بأنه كان يحتفظ بسبيكة ذهبية في أرض حديقته، و كان يتفقدّها كل يوم إلى أن اكتشف سرّه أحدُ عماله، فسرقها، و لمّا علم بذلك البخیل صار يصرخ و يندب، فإذا بشخص ما ربه يقول له: «لماذا تتأسف هكذا؟ كان عندك مال من دون أن يكون لك، فما عليك إلا أن تضع حجرة مكان السبيكة، و تخيل بأنّها ذهباً، لأنّه حسب ما أرى فإنّ بالرغم من أنّ الذهب كان هنا فإنك لم تكن تستعمله»⁽²⁾. و لفادر Phèdre خرافتان في هذا الموضوع:

الكلب، الكنز والنسر⁽³⁾:

أثناء نبشه للقبور، وجد كلبٌ كنزاً ولأنّه أهان آلهة الأرواح، استولى عليه الولع بالثروة، فعاقبه على تدنيسه لقداسة القبور، فانشغل في الحفاظ على كنزه، ونسي الأكل، و مات بجوعه.

و جاء نسر فمزق الجثة قائلاً: لقد استحققت مصيرك، لأنك طمعت في ثروات ملكيّة، أنت أيّها الكلب البائس، الذي ولد في الأزقة و لم ير إلا ما هو مقزّر. الذئب و التّين⁽⁴⁾:

بحماس كان ذئب يحفر جحره حتى صادف مغارة عميقة بها تّين يحرس كنوزاً، و بمجرد أن رآه الذئب حتى قال له: سامحني على تهوّرّي، كما يجب أن ترى فإن الكنوز لا تلائمني، فقط أجبني على طلبي بدون أن تغضب: ما هي ثمار قيامك بهذا العمل الشاق؟ جائزتك لا بدّ أن تكون كبيرة، لأنك محروم من النوم، و تقضي كلّ حياتك في الظلمات.

(1) Ésope, Fables, Arléa 1994, p 75.

(2) المرجع نفسه، ص 75.

(3) Phèdre, Fables de Phèdre, Cil, F, Danckoucke, Paris, p 59 .

(4) المرجع نفسه، ص 197.

لا شيء من هذا القبيل، يجيب: جوبيتار وضع هذا الكنز في حمايتي.
لا يمكنك إذن أن تأخذ و لو جزءا منه، و لا إعطاؤه لأحد؟ لا هذه هي إرادة القوى العليا،
لا أريد أن أغضبك يقول الذئب، لكن أقول لك بصراحة بأنه من كان مثلك، فقد ولد مع
لعنة الآلهة.

ومن المعروف أيضا أنّ لافونتين هو المبدع و المجدد لهذا الفنّ و هو الآخر عالج
الموضوع في عديد من خرافاته منها:

1- **البخيل الذي فقد كنزه**⁽¹⁾: و هي مقتبسة من خرافة إيزوب السابقة و أحداثها هي
نفسها.

2- **الدجاجة التي تبيض ذهبا**⁽²⁾: و ملخصها أنّ البخيل يفقد كلّ شيء برغبته في ربح كلّ
شيء، و مثله كمثل صاحب الدجاجة التي تبيض يوميا بيضة ذهبية، فظنّ لطمعه بأنّ في
بطنها كنزا، فقتلها و فتح بطنها، فأدرك بأنها كبقية الدجاج.

إنه درس للخلاء الذين أصبحوا فقراء بسرعة بسبب رغبتهم في أن يصبحوا أغنياء.

3- **الكنز و الرجلان**⁽³⁾: كان هناك رجل معدم، ملّ من حياة الفقر ففكر في الانتحار،
ذهب إلى منزل قديم وربط حبلًا في مسمار في أحد حيطانه المتآكلة فسقط من أوّل محاولة
و معه كنز فجرى به دون أن يعدّه.

و لمّا جاء صاحب الكنز وجده قد اختفى، ثمّ انتبه إلى الحبل الذي تركه اللص و شنق به
نفسه. و يعلق الكاتب على هذا بقوله: البخيل نادرا ما ينهي أيامه من دون بكاء.

هذا الجزء كما يوضح الكاتب موجّه إلى الإنسان الطمّاع، و الجزء التالي هو لمخصص
للبخيل.

إذ مرّ ذئب فرأى المشهد المريع و كاد أن يطير من سروره، ثمّ تمالك نفسه و صار يفكر في

(1) La Fontaine, Fables, édition Talantikiti, Bejaia, p 105.

(2) المرجع نفسه، ص 123.

(3) المرجع نفسه، ص 250.

كيفية استغلال هذه الثروة لأكبر وقت ممكن-قد يأخذ ذلك شهورا، و لأبدأ بما هو ملتصق بالسهم- يقول الصياد.فارتقى عليه لكن السهم كان لازال في وضعية التسديد فارتقى و لقي الذئب حتفه.

5- جامع المال و القرد⁽¹⁾:

كان هناك رجل غني و بخيل، اختار مكانا بمنأى عن الناس خوفا من اللصوص، و كانت هوايته عدّ و هو الفاعل، مما أغضب هذا الأخير، و فكّر القرد يوما في رمي النقود كلها لولا أنه سمع صاحبه قادمًا، و كأن الله أراد أن يحفظ يدا لا تحسن استعمال المال، يعلق الكاتب.

5- الذئب و الصياد⁽²⁾:

شغف الإنسان بجمع المال ليس له حدود، لا يسمع في ذلك للمنطق. خرج صياد بقوسه و سهامه، فأردي أو لا أيلا قتيلا، ثم مرت غزالة فلحقت بالضحية الأولى، فرح الصياد و ازداد كذلك لَمّا مرّ بالقرب منه خنزير ضخم، فوَقّق في رميته، فسقط مغميا عليه، كل هذا و الصياد لم ينته طمعه، إذ مرت حجلة و صوب إليها لكن الخنزير استفاق و قتلته، هذا الجزء موجه إلى كل طماع.

أما الجزء التالي فهو موجه إلى البخيل: إذ مرّ ذئب فبصر بالمشهد المريع، و كاد يطير فرحا بهذه الثروة، و بدأ يفكر في كيفية استغلالها لأكبر وقت ممكن، فلا يمكن مصادفة مثل هذه الكنز في كل يوم، و لأبدأ يقول الذئب: بما هو ملتصق بالقوس، فارتقى عليه و لكن السهم كان لا يزال في وضعية التسديد فارتقى و لقي الذئب حتفه.

6- لامرأة بخيلة رجل محتال⁽³⁾:

تتلخص الخرافة حول رجل يسمى جيلفار تعودّ إغواء النساء بماله، إلى أن تعرّف على زوجة صديقه جاسبار، كلّ شيء كان فيها جميلا إلا بخلها- وهذا لم يكن نادرا في هذا

(1) La Fontaine, Fables, P 309.

(2) Phèdre, Fables de Phèdre, Cil, F, Danckoucke, Paris, p 226.

(3) Jean de La fontaine, Contes libertaine, Maxi-Livres, France, 2001, p16.

العصر، يقول الكاتب: ووقع في حبّها و صار يترصد أخبارها ، و يظهر بطولاته، و تخلى عن مكره مؤقتا فقط ليخضعها ، لكنه لم ينج، فلم يكن أمامه إلا أن يعرض المال عليها كما كان يفعل.

هنا فقط أصغت إليه ، و لكنّ المال الذي كان يعطيها إياه كان يقترضه من زوجها ، من دون علمها و أمام الناس، ظانة هي بأنّ ذلك من باب الاحتياط. و تكرر الحدث، إلى أن رجع الزوج، ذات يوم ؛ جاسبار كان عليه أن ينفذ الموقف، فادّعى بأنّه أتى ليعيد المال الذي اقترضه منه، وفهمت الزوجة اللعبة و أدركت خسارتها المزدوجة، و لم يكتف جاسبار بذلك بل خرج، و روى القصة على الملأ و في كل مكان . ختم الكاتب خرافته بقوله: هكذا يعيش عندنا كل فرنسي.

7- البخيل في النار⁽¹⁾:

بخيل عبر ليسبح في نهر: Achéron* ، فأنهم بعدم دفع ثمن المرور، و قالت الأرواح الغاضبة: فلنمنح هذا البخيل ضربات من السوط، حكمك عليه فيه رحمة يجيب Rhadamanthe**، فليعد إلى نقوده الذهبية، يكفيه أن يلعب بها وريثه، و يهزأ بكنزه.. الأب البخيل⁽²⁾:

كان هناك رجل غني بخيل، مرض ابنه فأخذه عند أصدقائه الأطباء، فاقترح عليه أحدهم بأن يضحى بثلاثة ثيران، إنها الطريقة الأنجع حسبه، أو القراءة عند رأس المحتضر ستة فصول:

آه شكرا إلهي، يقول الأب و هو هارب: سأقرأ له.

(1)Schmelz joseph, Choix de Fables allemandes, Hagenau, 1863, p 53.

* Achéron : نهر مقدس في الخرافات الإغريقية.

** Rhadamanthe ابن زوس.

(2)Bret Antoine, Fables orientales et poésies diverses, tome1, a l'Imprimerie Ducale,1772 ,p 4 0.

البخيل المحتضر لابنه⁽¹⁾:

بخيل محتضر كان لا يزال يتفقد ذهبه: أريد أن أنام على ذهبي عندما أموت، يقول لابنه،
و حتى أدفع ثمن المرور لكارون* في نهر كوريث**، ضعوا مالا تحت لساني، لكن أفضل
أن أتجول مئة سنة على الساحل، أنا أحذرك!
إذاً كارون لم يقبل بهذا المبلغ...

البخيل والصندوق⁽²⁾:

مصدر كل الشرور هو الطمع، إنه يؤدي إلى البخل، كان هناك عجوز غني بخيل، كل
يوم يزداد ثراء، لكن يريد دائماً المزيد، الألف فرنك الأخيرة تكمل عنده النصاب،
و لكن ينقصه القليل. اصفر وجه الرجل، و بدأ في البكاء و النحيب، سأله ابنه: ما به؟
و لما علم سبب حزنه، استعار له ما يحتاجه، و أعاد الفرحة إلى أبيه، الذي جرى إلى
صندوقه و لما كان رأسه على حافة الصندوق إذ سقط على رقبته غطاء الصندوق الثقيل،
وفصل رقبة البخيل التي بقيت داخل الصندوق.

هكذا حينما يسيطر البخل على قلب إنسان فإنه يُعمي بصيرته، و يكون سببا في عقابه.

الفارس و الحصان⁽³⁾:

فارس كان يملك حصانا شجاعا، لكن للأسف، الحصان كبر في السن، أخذه صاحبه للسوق
لبيعه، غضب الحيوان و قال له ماذا فعلت لك حتى ضجرت مني؟ ألم أكن في خدمتك دائما؟
ألم أنقذ حياتك؟ بل لا زالت هي رغبتني الغالية؟ ردّ الفارس: أنا لا أشتكي منك، و لكن
قبل أن تجعلك الشيخوخة شيئا محترقا، شأنك شأن المخلوقات التي من نوعك، أريد ببيعك

(1) J.F. Boisard, Fables, tome 1, Germain Mathiot, Paris, 1817, p 44

* Caron ou Charon في الخرافة اليونانية هو من يدفع القارب في الجحيم.

** Cocyte كوريث: في الخرافة اليونانية أيضا يسمى نهر الرثاء، موجود في الجحيم.

(2) Grozelier, Nicolas, Fables Nouvelles, chez Desaint & Saillant, Paris, 1760,
p 310.

(3) المرجع نفسه، ص 147.

أن أضمن ثمنا جيدا.

ماذا؟ يردّ الحصان، هل هذه هي الوعود التي كنت تقولها لي لما كنت تمسح بيديك علي؟ هل هذه هي العدالة التي تجعلك هادئا؟ هل هذا هو جزاء خدمتي لك؟ أه! أرى الآن أن البخل يخنق فيك كلّ إحساس، لا نتكل أبدا أن نجد في البخيل صديقا حقيقيا، المصلحة هي التي تقوده.

أسطورة الملك ميداس⁽¹⁾:

يحكى أنه كان في قديم الزمان، ملك من ملوك الروم، يعشق جمع الذهب بجنون، و قد كدسه في قبو قصره، يقضي معظم الوقت في التمتع فيه، و ذات يوم مثل أمامه شاب بهي الطلعة، و وجده حزينا رغم كوم الذهب الذي يحيط به، فاستفسر عن سبب ذلك، فردّ عليه بأنه ظل طول حياته يكس المال، ولكنه لم يكفه ما جمعه، فقال الجنيّ هل لي أن أحقق لك أمنية، فأجاب بأنّ عشقه للذهب يجعله يتمنى أنه لو يستطيع أن يحول كلّ ما يلمسه إلى ذهب، لكنّ الجني حدّره مما يتمناه، لكن الملك أصر على ما يريد، و كان له ما تمنى منذ الصباح.

غمره السرور لما يحدث، إلى أن اجتمع مع ابنته إلى طاولة الطعام وراها تأكل و هو لا يستطيع ذلك، و ما أفجعه أكثر هو عندما قبّلته ابنته وتحولت إلى ذهب. حينئذ فقط أدرك حجم خطئه، وأيقن أن الماء و الخبز أفضل من ذهب كل العالم، و تمنى أن يرجع إلى سابق عهده، و رجع الجنيّ و حقق له مُبتغاه، و اكتملت فرحته.

(1) كامل الكيلاني، أساطير العالم، دار المعارف، مصر، ط 11، 1991.

* المسرحية :

1- الإغريقية:

مسرحية بلوتوس⁽¹⁾ لأرسثوفان Aristophane (450-385 ق.م):

كتبها سنة 833 ق.م، تبدأ بمشهد يحاور فيه كرىمیلوسُ خادمه كارئون و يشرح له فيه له تصرفه الغريب، بأنه يتبع آثار رجل أعمى بأمر من Delphes. إنه إله الغنى قد أصبح أعمى بسبب غيرة الإله زوس ، استغل كرىمیلوس و خادمه ليقنعاه بأنه هو الذي يملك العالم، و أنه يتوجب عليه المعالجة في معبد أسكليبيوس، و بالفعل عاد إليه بصره و صار يسعد الناس الخيرين فقط، ثم سمع المزارعون باغتناء كرىمیلوس وأتوا ليصبحوا هم كذلك أغنياء. أما المشهد الأخير فهو قدوم "بيثيا" آلهة الفقر التي تنتهم كرىمیلوس بنكران الجميل: أليست هي سبب سعادة البشر؟ فحاجاتهم المختلفة هي التي تدفعهم إلى العمل و الاختراع... و لو كانوا أغنياء كلهم لما كانت هناك علوم و حرف... لكنها تفشل في الإقناع و تعود أدراجها، في حين يأتي رجل قد أصبح غنيا، ورجل آخر أفلس، و امرأة عجوز هجرها عشيقها، و كاهن زوس الذي لم يعد يتلقى القرابين بمعبد Acropole لأنها غدت تُوجه إلى بلوتوس، الكل يريد الطواف . ربما هذه المسرحية لا تظهر البخل، ولكن تظهر مدى ولع الناس بالمال وتفضيله على كل شيء آخر.

مسرحية القدر La Marmite⁽²⁾ أو Aulularia* (254-184 ق.م):

(1) Eugène Talbot, Aristophane, tome 2, Alphonse Lemerre, éditeur, Paris, 1897.

(2) H.P.de Lemiers, les œuvres de Plaute, tome 2, Aux dépenses de la Compagnie, Amsterdam, 1719.

*Le titre d'**Aulularia** que porte cette comédie, est composé d'Aula, et de lar, qui signifie Dieu Domestique ou Génie familial, qui, selon les anciens, gardait leurs maisons, et présidait particulièrement au foïer. C'est omme s'il y avait Aula laris

أوكليون رجل بخيل يعيش في رعب دائم خوفا من أن يُسرق منه كنزه، و ذات يوم أقبل عليه جاره ميقادور طالبا يد ابنته فيذرا فقبل طلبه لأن هذا الزواج سيكون من دون مهر، و سيتحمل ميقادور مصاريفه، و بينما يزداد خوف أوكلليون على كنزه، فگر في تخبئته في المعبد، ثم في غابة الإله سيلفان، و لكن سترُوبيل تعقبه و استطاع سرقة القدر، مما جعل البخيل في حالة هستيرية، يتدخل في هذا الوقت ليُكونيد، ليرجع القدر إلى صاحبها، مقابل أن يزوجه ابنته، وفرح أوكلليون برجوع كنزه و تغيّر سلوكه تماما، و قرر إهداءه إلى ابنته.

2- الفرنسية:

المحامية الحسناء⁽¹⁾ لبوازروبير Boisrobert (1592-1662):

مسرحية هزلية ألفها سنة 1654، يتكرر فيها موضوع الحب، و يكون كالعادة البخل و الطمع سببين في تصعيب علاقة المحبين، إرقاست و كورين. طمع أمها في استرجاع مجد عائلتها المفلسة بتزويجها بمن يحقق طموحها، وبخل أبيه أميدور الذي نبذه و قرر حرمانه من الميراث، ويتعين على المحبين الاستعانة بالأصدقاء للإيقاع بالأب و جعله يخضع للأمر الواقع ويرضى عن ابنه، و تلعب كورين الدور الأكبر في إقناعه بأن ابنه شهيم و لا يستحق ما يفعل به.

لأب بخيل ابنٌ سخي أو ورثة البخيل وورثة المبتد⁽²⁾ لدالهان Dalban :

أراد من خلالها الكاتبة إثبات أنه ليس من المحتم أن يتوارث الأبناء صفات آبائهم، فكليوئت شاب مبتد، و كأنه بتصرفه هذا هو الحرمان الذي فرضه والده الشحيح عليه، أما فالير فهو شاب بخيل و منعزل من أب كريم.

d'ou Plaute a fait Aulularia, La Marmite du Dieu Lar, ou commise a la garde du Dieu Lar,p 16.

(1)Boisrobert, La belle plaideuse, guillaume de luyne, Paris, 1655.

(2)J.B.P.Dalban, Poésies diverses et pièces de théâtre, E, Pochard, Paris, 1824, p181.

هما صديقان منذ الطفولة، و صادق أن أحب كل منهما أخت الآخر، ولكن الفتاتين و رغم مبادلتها الحب إلا أنهما لا تريدان الارتباط بهما إلا بعد أن تتغير طباعهما، فاستجدتا بصديق الشابين الوفي والمتزن ديموث لتصحیح وجهتي نظر صديقیه في التصرف في المال، هنا تبرز الحبكة، حيث يصور ديموث لهما الوضع و يغريهما بما سيؤول إليه حالهما إذا ما هما غيرا من طبعهما، و أنهما سيخسران محبوبتيهما إذا ما لم يفعلا ذلك.

البخيل المخادع أو رجل القش لسامويل شابيرو Samuel Shapuzeau (1) 1701-1625
ألفها سنة 1662، بطلها كريسيين، أرمل ورت ثروة طائلة من يهودي كان يعمل عنده، ولبخله لم يُعلم أحدا بذلك؛ حتى ابنته، التي حاول الكثير التقدم لخطبتها، لكنه كان يرفض في كل مرة بدون أية حجة مقنعة.

أما المشهد المثير للضحك في المسرحية، هو كيف كان يتصرف كريسيين مع من كان يلتقيهم، و هو راجع إلى بيته بالصندوق المملوء بالمال مدعيا بأنه يحوي فقط أوراقا مهمة، ثم أمره لخدميه بغلق كل منافذ البيت، و عدم فتحها لأي أحد، و إملائه عليهما الجمل التي يجب أن يرُدا بها على كل من يدق الباب، استغل لكاست- أحد المعجبين بابنة البخيل- الموقف، و سرق الصندوق، ليستطيع في الأخير المساومة عليه، مقابل أن يقبل كريسيين تزويجه ابنته.

البخيل أو مدرسة الكذب (2) لموليير Molière (1673-1622) :

ألف هذه الكوميديا سنة 1668، اقتبسها من مسرحية القدر لبُلوت، و نقل بعض أحداثها إلى عصره، تتناول كثيرا من القضايا بطريقة مرحة: البخل و الجشع، الاستبداد، الأنانية، التحيز ضد المرأة .

الشخصية الرئيسية "أربا جون" برجوازي مستبد داخل منزله، يعارض حبّ ابنيه، فابنه

(1) Samuel shppuzeau, l'Avare duppé, ou l'Homme de paille, Guiaume de luyne, Paris,1662 .

(2)Molière, L'Avare, Pocket, Paris, 2007.

كَلِيُوثُ مَغْرَمَ بَمَارِيَانْ، و ابنته إِيْزُ مَغْرَمَةٌ بِقَالِيْرُ الَّذِي عَمَلُ مَشْرَفَا عَلَى أَمْوَالِ أَبِيهَا حَتَّى يَتَقَرَّبَ مِنْهَا، لَكِنْ أَبَاهَا قَرَّرَ تَزْوِيْجَهَا بِأَوْثُسْلَامَ -عَجُوزٌ غَنِيٌّ - لِأَنَّهُ سَيَأْخُذُهَا بِدُونِ مَهْرٍ، كَمَا قَرَّرَ تَزْوِيْجَ ابْنِهِ بِأَرْمَلَةٍ غَنِيَّةٍ، وَ يَتَزَوَّجُ هُوَ بِمَارِيَانْ، الْبَارِزُ فِي هَذِهِ الْمَشَاهِدِ هِيَ مَلَامِحُ الْبَخِيْلِ، الَّذِي يَعِيْشُ بَيْنَ هَاجِسِ الْإِدْخَارِ وَ الْإِنْفَاقِ وَ السَّرْقَةِ، وَ الْعَمَلِ بِالرَّبِّ سِرًّا. تَبْدَأُ الْعَقْدَةُ فِي الْإِنْفِرَاجِ عِنْدَمَا يَسْرِقُ خَادِمُ كَلِيُوثُ الصَّنْدُوقَ الثَّمِينِ لِأَرْبَابِ جُونْ، وَ يُتَّهَمُ بِدَلِهِ قَالِيْرٌ مِنْ طَرَفِ الْخَادِمِ جَاكٍ حَتَّى يَفْسَحَ لَهُ الْمَجَالُ لِحُبِّ إِيْزُ... يَسْتَعْلِجُ كَلِيُوثُ الْوَضْعَ وَ يَتَعَهَّدُ لِأَبِيهِ بِأَنْ يَسْتَرِدَّ لَهُ الصَّنْدُوقَ بِشَرَطِ أَنْ يَحْتَرِمَ رَغْبَتَهُ وَ رَغْبَةَ أُخْتِهِ. خِلَاصَةُ الْقَوْلِ، إِنْ مَوْلِيِيرٌ فِي هَذِهِ الْمَسْرُوحِيَّةِ أَثْبَتَ قُدْرَتَهُ عَلَى رَسْمِ قُوَّةٍ وَتَأْثِيرِ الْمَالِ عَلَى الْأُسْرَةِ وَ الْمَجْتَمَعِ، وَ أَثَرَ بِذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكُتَابِ بَعْدَهُ.

البخيل نو القفاز الأصفر⁽¹⁾، لأوجين لبيش Eugène Labiche (1815-1888):

عُرِضَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ سَنَةَ 1858، «عزيزي با... أراد أن يقول بابا... لقد اقتصد في الكلمة... إنه الطبع»⁽²⁾، عبارة علق بها الأب على ابنه البخيل أوكتاف و هو يقرأ رسالته، هذا الأب يعيش عيشة الشباب إذ يتمتع بكل ما يرغب فيه الشباب، و الابن يعيش عيشة الشيوخ إذ هو حارم نفسه من ملذات الحياة لشحّه.

رغب الابن فجأة في الزواج لكن بدافع المصلحة، فخطب وحيدة رجل غني، و أثناء حديثها عن أحلامها معه ذكرت صديقتها التي في سنها و الأغنى منها و تريد الزواج، فقرر مباشرة فك خطبته و الارتباط بالفتاة المذكورة، و حقق له أبوه رغبته، لكن الصهرين المتوقعين علما بالقصة و احتدم الجدل فيما بينهما، في حين فرّ الابن بجلده، و وقع اختياره هذه المرة على ابنة أرملة غنية وخطبها، و أثناء سهرة عشاء أقامها الأب في بيت ابنه على شرف الكنة المستقبلية و أمها، شكت هذه الأخيرة وحدثها لأوكتاف و كشفت عن رغبتها في الزواج، ففكر مباشرة في أبيه، لأنه بهذا الزواج المزدوج سيضع ثروة هذه الأسرة

(1) Eugene Labiche, Théâtre complet de Eugene Labiche, tome 6, Calmann Levy, Paris, 1892.

(2) المرجع نفسه، 282.

كلها بين يديه، و استطاع أن يقنع أباه بذلك.
كل شيء كان يسير على هوى الابن، إلى أن اكتشف أبوه أنه يتعامل بالرّبي خفية، وأنه كان أحد ضحاياه فأفشل الزواج المرتقب، فيكفيه أن يكون ابنه و ليس صهرا أيضا، مع ذلك لم يحزن أوكتافُ لأن يرى بأن ثمار زواج أبيه ستؤول إليه في الأخير و لم يخجل بالتصريح بذلك.

3- الإنجليزية:

تاجر البندقية⁽¹⁾ لشيكسبير Shakespeare (1564-1616):

لا يظهر البخل في هذه المسرحية كعنصر أساسي، و إنما الذي يبرز أكثر هو الصداقة و الحبّ، فأما الأولى فتجمع بين البطل أنطونيو تاجر البندقية و بسائيو، هذا الأخير أحبُّ بورشيا سيّدة غنية و أراد أن يخطبها، وكان عليه أن يقدم لها ما يليق بها من المال، و لم يجد إلا صديقه لكي يعيره ذلك، لكن سفن أنطونيو كانت كلها في عرض البحر، فاضطرَّ إلى الاستدانة من ثوبال التاجر اليهودي الذي اشترط فوائد كعادته، تقدم في ثلاثة أشهر، و إن لم يفعل أنطونيو ذلك أخذ ثوبال قطعة من لحمه، و وقع ما خاف منه أنطونيو، إذ غرقت سفنه، و لم يستطع أن يكون في موعد الدفع، فُقدّم إلى المحاكمة، و في هذا الحين كان بسائيو وحبيبته بورشيا يحتفلان بخطبتهما، حتى وصلت الأخبار المحزنة فسارع بسائيو إلى مساعدة صديقه، و لحقت به خطيبته متكرة كمحامي مكلف بالقضية و استطاعت بذكائها أن تخلص أنطونيو من مشكلته، بل و تدفع اليهودي الثمن غاليا و تفقده نصف ثروته.

أمّا البخل فيظهر في شخصية اليهودي أولا في تعامله بالرّبا، على خلاف بقية التّجار، و ثانيا في تعامله مع ابنته جيسيجا، التي كانت تخجل من تصرفاته، و اضطرها ذلك إلى الهروب مع أحد المسيحيين جاعلة أباه يدعو عليها قائلا: «أتمنى أن تكون قد فارقت الحياة تحت أقدامي و تلك الدوكات* داخل نفسها»⁽²⁾.

(1) شكسبير، تاجر البندقية، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1990.

(2) المرجع نفسه، ص 87.

* الدوكات: عملة نقدية.

يهودي مالطة⁽¹⁾ لكريستوفر مارلوف Christopher Marlowe (1564-1593) :
كتبها سنة 1589، تتشابه فيها شخصية البطل مع بطل تاجر البندقية لشكسبير من حيث
الديانة، والدهاء ، وحب المال لكن الأول أي بَارْبَاسُ، يصوره خيالُ الكاتب على أن له
القدرة على مواجهة الجيوش، والإطاحة بالحكام، والقتل، هذا كله بحيلة وجرأته،
والخلفية وراء هذا هو أنه بقدم السفن التركية لجمع الضرائب من سكان مالطة، تقرر أن
تدفعها الجالية اليهودية فقط، فاحتج بَارْبَاسُ على ذلك، فصودرت كل أمواله، لكنه استطاع
أن يسترجع بعضها منها بفضل ابنته أبيعَالُ، واشترى العبد التركي إيتَامُورُ الذي كان يكره
المسيحيين بقدر ما يكره سيده الجديد، و ثأراً لنفسه صار يسرق.
كما بدأ بَارْبَاسُ أيضا حملة الانتقام لإسقاط حاكم مالطة، بإثارة الخصام بين ابن الحاكم
و أعزّ أصدقائه و دفعه إلى المبارزة، مما أخجل ابنته، و جعلها تتحول إلى راهبة، لكن
أباها تجرأ على تسميمها مع راهبات أخريات، وخنق راهب، و اتهم آخر بالفعلة. أثناء ذلك
كان إيتَامُورُ قد وقع في حب عاهرة، كشف لها تحت تأثير الخمر كل شيء، فقررت مع
صديقها ابتزاز بَارْبَاسُ، هذا الأخير لم يتوان عن قتل الثلاثة، لكن الحاكم أوقفه قبل ذلك،
ولكي ينجو بفعلة ادعى تسميم نفسه، و يواصل سلسلة جرائمه، و اختار هذه المرة
الإتحاد مع الأتراك لمحاصرة المدينة، و تحالف هذه المرة مع فرسان مالطة، بنصب شرك
للجنود الأتراك، ثم أميرهم بإخفاء وعاء كبير به ماء يغلي، لكن الحاكم السابق أدرك
الجريمة قبل وقوعها، وألقى القبض على الكل، و استعاد الأمير سلطته.
يمكن أن يكون لهذه المسرحية بعد سياسي بالإضافة إلى البعد الأخلاقي، فالكاتب
يظهر الديانة المسيحية على أنها هي الأفضل من خلال التسامح الذي أبداه أمير مالطة
في آخرها.

(1) http://fr.wikipedia.org/wiki/Le_Juif_de_Malte

مأساة الملحد⁽¹⁾ لسيريل ثورنور Cyril Tourneur (1575-1626):

ألفها سنة 1611، بالإضافة إلى إلحاده، أومفيل نبيل فرنسي غني، وقح، قليل الحياء، بلا رحمة، جشع، لا يكفيه ما يملكه من أموال حتى يقتل أخاه، و يبعث ابن أخيه شارلمان إلى الحرب ليستولي على إرث العائلة، و لما يعود شارلمان إلى البلاد يتفاجأ بإعلان وفاته، و زواج خطيبته بابن عمه الأكبر، و اضطراره إلى مبارزة الأصغر... خلاصة المأساة و بعد صراع طويل بين الخير و الشر، ينتصر الرجل النزيه شارلمان.

طريقة جديدة لإيفاء الديون⁽²⁾ لفيليب ماسينجر Philip Massinger (1583-1640):

كتبها سنة 1625، يتكرر فيها الصراع المعتاد بين أفراد الطبقة النبيلة، و يطغى عليها طابع السخرية من الواقع الاجتماعي المعقد الذي تتضارب فيه المصالح، يوجه أحداثها نموذج الشرير الجشع جيلز، بتلاعباته المالية أفلس كلا من والبور و الشاب أولورث، و توسيعا لثروته أراد أن يزوج ابنته مارقرت باللورد لوفل، لكنها تحب أولورث الذي هربت معه، فتوجه إلى والبورن يريد خداعه للمرة الثانية، فبعلمه بنية زواجه بوالدة أولورث، تعتمد إعارته مبلغا ماليا كبيرا، لأنه يدرك ما سيجنيه من العقارات المتبقية للسيدة، لكن لما رأى المحامي مارال الوضع المالي الجديد لسيدة والبورن تخلى عن ولاءه له، بل و سرق منه ما يثبت أحقيته بالمطالبة بديونه على والبورن، و لما اكتشف جيلز أنه قد أوقع به فقد عقله.

4- الإيطالية:

البخيل:⁽³⁾ لكارلو فولدوني Carlo Goldoni (1707 – 1793):

(1) John Churton Collins, The plays and poems of Cyril Tourneur, tome1, Chatto and Windus Piccadilly, London, 1878.

(2) Philippe Massinger, A new way to pay old debts, Aldine House, London, 1904.

(3) Carlo Goldoni, L'Avare, tra : Elie-André Clot, A. Rey, imprimeur- Editeur , Lyon,1917.

عرضت لأول مرة سنة 1752، أكثر ما ينغص عيش دُون أومبرواز ليس ثروة يخاف أن تُسرق منه، و إنما تكفله بمصاريف كئته الأرملة، و أن تأخذ مهرها، الذي أنتت به يوم تزوجت و ما زال يحتفظ به، إذا ما هي تزوجت مرة ثانية، حسب عرف المنطقة. ويتقدم لخطبتها شخصان محترمان، الأول كونت، و الثاني فارس، و لأن السيدة ستيفاني تكنّ لكليهما الإعجاب، و حتى تُبدد حيرتها أوكلت الأمر لحماها، وهو ما رحب به، لكن بشرط التنازل عن المهر.

كل منهما أبدى الموافقة، لكن البخيل لمس عندهما المراوغة، فعنت له فكرة كتابة التنازل عند الموثق، لكن كلاهما فضل التأجيل حتى، يخبر المعنية بالأمر، و يتدخل طرف رابع، و هو شاب انتهت فترة دراسته التي قضاها عند أومبرواز، هو الآخر مولع بحب السيدة، فلم يستطع أن يرجع إلى بيته دون أن يفرج عما في صدره لأومبرواز، فاستغل هذا الأخير الوضع واقترح شرطه، و قبل الفتى، و سارع ليفتح ستيفاني، يجتمع الخمسة في المشهد الأخير، و تكشف ما كان يدبر لها، و تتصارع الأطراف كلها، و هنا يظهر الكاتب معرفته بطريقة تفكير أي بخيل، ذلك على لسان الفارس، بأن اقترح أن يحتفظ البخيل بالمهر حتى موته، و بما أنه ليس له وريث، ستكون كئته هي الوريثة، بالطبع سعد أومبرواز بالاقتراح، لأنه يكفيه أن يكون المال بحوزته، و إن لم يستقد منه.

5- الروسية:

البارون البخيل⁽¹⁾ لبوشكين Pouchkine (1799-1837):

لم يعتمد الكاتب على الأحداث بقدر ما اعتمد على التحليل النفسي للبخيل، فأظهره في قمة سعادته و هو يفتح صناديقه المملوءة بالذهب ظاناً نفسه إلاها يملك العالم، ويسرد قصص بعض النقود التي وصلت إليه .

لا ينتابه الخوف عليها في حياته بل بعد مماته ، حين ستؤول ثروته التي تعب من أجل جمعها

(1)Alexandre Pouchkine, Poèmes dramatiques, Hachette, Paris, 1862.

إلى ابنه المبذر في نظره، هذا الابن الساخط الذي يعاني من بخل أبيه، فيعيش الفقر لدرجة أنه لا يستطيع تغيير عدّة المبارزة البالية خاصته، و اضطراره إلى الاستدانة من تاجر يهودي، الذي يقبل ذلك لكن بوجود ضمانات، و هو ما لا يملكه الفتى، و يقترح التاجر عليه أن يسمم أباه، لكن الابن يستنكر ذلك تماما ويطرده، ويستجد في الأخير بالدوق، و يجتمع الأب و الابن عنده و يتبادلان التهم، و تنتهي المسرحية بموت الأب مناديا مفاتيحي...صناديقي...

حول Sergueï Vasilevitchi Rachmaninov هذه المسرحية إلى أوبيرا⁽¹⁾.

(1)[tt://fr.wikipedia.org/wiki/Le_Chevalier_avare](http://fr.wikipedia.org/wiki/Le_Chevalier_avare).

* الرواية:

1- الفرنسية:

أوجيني جراندي⁽¹⁾ لأوثوري دُو بالزَاك Honoré De Balzac:

كتب هذه الكوميديا سنة 1883 ، و تندرج ضمن الروايات ذات الطابع الريفى، يبدؤها بوصف السيد جرّاندي، ثم منزله، و هو المسرح الذي تجري به الأحداث. أوجيني هي ابنته الوحيدة، فتاة بسيطة، أمها امرأة ثرية عاقلة مطيعة، تعودت المرأتان و الخادمة على القواعد التي فرضها الأب في المأكل و المشرب و حتى الدفء و الإنارة، و كنّ يعتبرن بخله شيئاً عادياً لجهلهم حجم ثروته، التي كونها عن طريق شراء بعض الممتلكات الحكومية بعد ثورة 1798، ثم أصبح رئيس بلديته، في حين العائلات الراقية كانت تعلم كل شيء، لذا كانت تتودد إلى الأسرة رغبة في مصاهرتها طمعا في ثروة الأب الذي كان على دراية بذلك.

كانت الأيام تمرّ عادية، حتى قدم ذات ليلة ابن أخيه الباريسي ثشارلز مبعوثاً من لدن أبيه دون أن يعلمه بالسبب، و هو أنه كان سينتحر لأنه كان قد أفلس، و قد حمّله رسالة إلى عمه يوضح له ذلك و يتوسل إليه بأن يعتني بابنه.

طبعاً جراندي قبل ضيافة ابن أخيه على مضض، لكنه كان يخطط إلى التخلي عنه بطريقة لا يلقي فيها الناس اللوم عليه، فادعى أولاً بأنه سيسدد ديون أخيه، ثم حمس ابن أخيه على السفر إلى الهند حتى يكون ثروته الخاصة، لكن في تلك الأيام القليلة التي قضاها في بيت عمّه نشأ حب بريء صادق بينه و بين أوجيني، تعاهدا عند سفره على الوفاء لبعضهما، و كانت قد منحته بعضاً من ذهبها الذي كان يهديها إياه أبوها في كلّ رأس سنة. في عيد الميلاد لهذه السنة، و كالعادة، تفقد جراندي وديعته الموجودة عند ابنته فلم يجدها، فثارت ثائرتة و عاقب ابنته بحرمانها من الخروج من البيت، و فرض عليه أكل الخبز و الماء فقط، هذه الحادثة أمرضت الأم و أودت بحياتها.

(1) Honoré De Balzac, Eugénie Grandet, Mondadori, Italie, 2001.

تعاضم حزن أوجيني بموت أمها و بعدها عن حبيبها، في حين ذلك تزايدت ثروة الأب، لكنه مرض و أقيد في أواخر حياته إلى أن مات، فاكشفت أوجيني حجم ثروتها، و زاد تقرب الناس منها، لكنها حاولت التغيير من نمط عيشها بالتبرع إلى المحتاجين، و مخالطة الناس أكثر و إقامة الحفلات، فقط لتناسي آلام الفراق و الوحدة. و جاءت الأخبار ذات يوم تحكي عودة ثشارلز بعدما أثرى، و أنه يريد الزواج من فتاة ذات نسب و ذات مكانة اجتماعية راقية، فهو يريد أن يصنع لنفسه اسما و شرفا جديدا بهذه المصاهرة، و من المدعاة إلى السخرية أن يبعث بذلك لابنة عمه متناسيا حبهما و وعودهما، معللا ذلك بأنه زواج مصلحة فقط، و أنها يجب أن تعيش حياتها و لا تنتظره. هنا فقط أحست أوجيني بالمرارة حقا، و لولا إيمانها الذي تربت عليه، و ترددها على الكنيسة لما استطاعت أن تتجاوز هذه الصدمة، بل من باب الكبرياء و التحدي و الوفاء سددت ديون عمها، و قررت بعد ذلك الزواج من رجل لطالما خدم أباهما، و لكنها لم تنجب منه إلى أن توفي، و بقيت وحيدة من جديد.

بالنظر إلى وصف الكاتب لشخصية جراندي، بالزك، بدون شك، قد فُكر في بخيل مؤلبيير، و تجاوز "الدرس الأخلاقي المستخلص من البخل، و هو الآفة المشتركة بينهما، بالزك أوضح دور المال في القرن الثامن عشر، و تداخله مع بقية الصفات الاجتماعية: الشغف و الطموح و الوقاحة في المجتمع في بداية القرن و الوحشية التي جعلت منه سيدا في باريس، خاصة في الريف، مما جعل منه من أكثر مواضيع الكوميديا الإنسانية تناولا (1).

2- الانجليزية:

إفـانـهو (2) وَاَلْتِر سْكُوتْ Walter Scott (1771-1832):

(1) Dictionnaire des œuvres et des thèmes de la littérature française, Hachette, 1990, p 135.

(2) Walter Scott, Ivanhoe, Macmillan and Co, London, 1904.

ظهرت هذه الرواية سنة 1819، ذات طابع تاريخي، تعكس الصراع السياسي الداخلي على السلطة، و الصراع الديني بين الطوائف المسيحية آنذاك، شخصياتها واقعية، فريثشارد قلب الأسد و روبيثهود و أخرى، حقيقة عاشت في القرن الحادي عشر، أظهر الكاتب بطولاتها الفردية التي صارت أسطورة يضرب بها المثل عبر التاريخ، و بغض النظر عن هذا الجانب، فإن الرواية ترسخ فكرة تعصب اليهود و تعرضهم للاضطهاد بسبب ذلك، مما أدى إلى جشعهم و بخلهم، وسعيهم إلى جمع الثروات الهائلة عن طريق التجارة، هذه الأخيرة وضعتهم في أحيان كثيرة في خطر، و في أحيان أخرى كانوا يستخدمونها في تأمين الحماية لأنفسهم و توسيع نفوذهم⁽¹⁾، يجسد هذا كله اليهودي إسحاق يورك الذي تعرض إلى المتاعب، واضطرّ إلى فدية نفسه و ابنته.

ترنيمة الميلاد⁽²⁾ لثشارلز ديكنز Charles Dickens (1812-1870):

تعدّ الأعياد، و خاصة الدينية في كل مجتمع، مناسبة مبهجة يُظهر فيها الناس مدى حبهم لبعضهم البعض، لذا تعمّد الكاتب اختيار ليلة ما قبل عيد ميلاد المسيح، ليروي قصة سكرُوج «الصيد العجوز، كان بخيلاً يعرف كيف يمسك بقوة، ينتزع، بيرم، يسحق...منطو على نفسه، وحيد مثل محارة، و كانت البرودة داخله تجمد وجهته العجوز...و كان يحمل معه برودته دائماً أينما ذهب، فكان يُثلج مكتبه في الصيف، و كان في وقت عيد الميلاد في نفس برودة الطقس»⁽³⁾.

يزوره شبح صديقه و شريكه المتوفي مارلي في حالة مزرية تلف جسمه السلاسل، لأنه كان مثله، حتى يبين له بأن تصرفاته الحالية هذه لن تجعله أبدا سعيدا، و بعد ذلك و في الليلة نفسها تزوره ثلاثة أشباح على التوالي تجسد الميلاد الماضي، و الحالي، سلسلة مشاهد بينت من خلالها له بأن شحه قد أضاع عليه معنى و المستقبل، و قدمت له

(1) المرجع نفسه، ص 81.

(2) Charles Dickens, Contes de Noël, Chant de Noël, Hachette, Paris, 1936.

(3) المرجع نفسه، ص 6.

الحياة الحقيقية، و أن السعادة لا تكون إلا إذا كرس الإنسان نفسه وما يملك للآخرين، فأخذ يفهم الروح الحقيقية لعيد الميلاد عندما شاهد احتفالا بسيطا لكنه صادر من القلب في بيت بُوبُ كَرَانْشِيْتِ الذي يعمل كاتباً عنده، و عندما استيقظ في الصباح كان قد أصبح رجلاً آخر، طيباً، يأخذ الهدايا للآخرين.

الأرواح الميتة⁽¹⁾ لنيكولاي فو قول Nikolai Vasilevitchi Gogol (1852-1809):

المسار العام الذي تنتهجه هذه الرواية هو النقد الاجتماعي الواقعي لفترة من تاريخ الإمبراطورية الروسية، و بالضبط أوائل القرن التاسع عشر، إذ يستهجن الكاتب النظام الاقتصادي المتبع، حيث «اهتمت الرواية بالدرجة الأولى بعكس التناقض و العداء المسيطرين على واقع العلاقات الاجتماعية آنذاك، و صورت كيف أن الروح الإنسانية لدى أبطال الرواية من الإقطاعيين قد ماتت لدرجة جعلتهم يتدنون في علاقاتهم بتابعيهم الفلاحين إلى حدّ الاتجار بأرواحهم الميتة، كما لو قد قدر على هؤلاء الناس أن يتجر بأدميتهم حتى و هم أموات»⁽²⁾.

هذه الفكرة «لم تكن بقصة من خيال الكاتب، فقد كان بالفعل العديد من القصص الواقعية المشابهة التي حدثت بالفعل و التي ألمح إليها في صحافة تلك الفترة»⁽³⁾.

أما عن المسار الخاص الذي نبحت عنه نحن في الرواية، و هو البخل و مظاهره، فيمكن أن نستجليه عموماً في الشخصيات الرئيسية بما فيهم البطل ثيشنكوف، و مانيلوف الأحمق المداهن، و كوربوتشكا العجوز الحمقاء الجشعة، و توردريف المقامر الكذاب، و سوباكيفيش الشكاك الجشع، و بلوشكين للإنساني، ذلك إذا كان مبدأ البخل في الأساس هو الجشع، فالشخصيات الستة عماها حب المال لدرجة بيع أرواح الأموات.

لكن المبدأ الثاني للبخل و هو منع صرف ما جمع من المال فيتضح أكثر في النماذج الثلاثة:

(1) Nikolai Vassilievitch, Les Âmes Mortes, tome1, tra : Ernest Charrière, Hachette, 2006.

(2) مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، عالم المعرفة، الكويت، 1981، ص 78.

(3) المرجع نفسه، ص 79.

كُوربوتشكا: « منذ أول وهلة تلفت النظر إلى بخلها الشديد، فهي في بداية لقائها مع ثشيشكوف فتبدي تخوفها من أن يكون في قدوم ثشيشكوف لزيارتها ليلا مدعاة لضرورة إطعامه، و تعجّل بالاعتذار له عن ذلك متعللة بان خادمة المنزل الليلة يتعذر عليها إعداد الطعام، و رغم الثراء الكبير فغنى كوربوتشكا لا تبدو من مظهرها على هذا الثراء»⁽¹⁾، إنها « تعيش سجيئة فكرة واحدة، تحرك كيائها و تقود كل خطاها، ألا و هي فكرة توطيد و تدعيم نفسها ماديا، و هي لا تدخر في سبيل ذلك أي جهد»⁽²⁾، لكن الغريب و المخالف للأمر هو بلادتها، إذ لا تجتمع البلادة و البخل عادة، فقد « تصورت في البداية أن ثشيشكوف بشرائه للأرواح الميتة سوف يقوم بحفر الأرض و استخراج جثث الفلاحين»⁽³⁾، لذا كان من السهل على ثشيشكوف إقناعها بالصفقة في الأخير.

بلوشكين: على خلاف ما هو عليه، كان في الماضي رجلا محبا، مسؤولا، نشيطا، لكن بفقده لزوجته ، ثم ابنته الكبرى التي هربت مع أحد الجنود، ثم موت الصغرى، أفقده الرغبة في الحياة، و انكمش على ماله يزيد في حجمه، « حريصا يهوى التملك و الاقتناء، فهو يحب اقتناء أي شيء، حتى تلك التي تبدو تافهة لا قيمة لها فقد كان يتجول كل يوم بشوارع قريته، وهو يحملق أسفل السدود و أسفل العوارض و كان يحمل بنفسه كل شيء يلقاه، نعل حذاء قديم، قطعة قماش لفلاحة...»⁽⁴⁾، «لقد كان البخل مجدد معالم حياة بلوشكين في كل شيء يفرض عليه نمطا معيناً في المعيشة فهو مثلا يعيش بلا أصدقاء أو معارف حبيس في جوار ضيعته، إذ كان يخاف إقامة أي علاقات اجتماعية مع المحيطين من شأنها أن تؤدي إلى تضحيات مادية... هذا البخل لا يتخذ جانبا ماديا فقط و لكن روحيا أيضا، فهو يصفه بانعدام حبه و رعايته لأقرب الناس إليه من أهله و ذويه، و بالطبع خدمه أيضا و فلاحيه، الذين يناصبهم العداء، و يعتبرهم جميعا غشاشين و لصوصا لا يرتفعون إلى مستوى الأدمية»⁽⁵⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 83.

(2) (3) المرجع نفسه، ص 79.

(4) المرجع نفسه، ص 83.

(5) المرجع نفسه، ص 87.

تشيشكوف: بحكم أن هذه الشخصية تتعامل مع عدة شخصيات مختلفة، فإن ذلك يتطلب ذكاء وحنكة ومعرفة كبيرة بالطباع البشرية، و القدرة على التلون معها، وإقناعها بما تريد، وهذا ما يتوفر في بطل الرواية، بالإضافة إلى جشعه و بخله، كل هذا تربي معه منذ الصغر «لأن والده لم يكن من الإقطاعيين الأغنياء، وهو لم يترك له ميراثا يذكر، ولكنه ترك له ميراثا آخر، إذ ربي فيه منذ السنوات المبكرة حب التملق لمن هو بحاجة إليهم، وأن لا يصادق سوى " من هم أغنى " لأن من هم أقل غنى سيكونون في حاجة إليه و ليس العكس...»⁽¹⁾، «و قد استوعب تشيشكوف بصورة جيدة النصائح الغالية لوالده، لذا فقد وجه و حفز كل نشاطه و جهده و تفكيره تجاه الحصول على الكوبيك، لذا فإن تشيشكوف لم يكن موفقا في تعليمه، فقد كان متجها بكل كيانه تجاه البحث عن المال، كما عود نفسه منذ الصغر على أن يستغل كل أصدقائه و معارفه، و أن يقتر على نفسه بشدة، وأن يكون معيار الفائدة هو الفصيل في كل حركاته و علاقاته»⁽²⁾.

و بالتدريج صار «شيئا فشيئا يفتقد الملامح الإنسانية، ويتحول إلى إنسان قاس بدون مبادئ، لا يتورع أن يأتي بأي نذالة، و يصبح مع الوقت سجيناً لجشعه و أنانيته و رغبته في الاغتناء»⁽³⁾.

(1) (2) المرجع نفسه، ص 90.

(3) المرجع نفسه، ص 92.

* الملحمة:

الكوميديا الإلهية⁽¹⁾ لـ دانتي Dante Alighieri:

هي أفضل ما ألف دانتي على الإطلاق و كان ذلك ما بين سنتي 1308 و 1321 ،
و قد عدّ البعض فكرتها مأخوذة من رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، و إن كان هذا
لا يهمنّا لأننا لسنا في مقام إثبات أو نفي ذلك، ما نريد أن نعرف كيف تناول هذا
الإنتاج الأدبي موضوع البخل، فالمعروف بأنّ رحلة دانتي الخيالية تجوب ثلاثة أماكن:
الجنة، النَّار و المطهر، و من المنطقي أن يتحدّث الكاتب عن الموضوع في الجحيم
و بالضبط في الأنشودة السابعة، الحلقة الرَّابعة، التي يمهدّ لها بقوله:
و هكذا هبطنا إلى الهوة الرَّابعة، و نحن نتقدّم على الشاطئ الأليم،
الذي يطوي آثام العالم كله.⁽²⁾

فالدّي يبدو في نظر الشاعر أنّ أكبر آثام الإنسان سببها المال إسرافا له أو تقتيرا فيه بدليل ما
سيقوله في الأبيات التالية:

رأيت هنا قوما أكثر من كلّ موضع آخر، و من هذا الجانب و ذلك،
و بصرخات مدويّة أخذوا يدفعون أثقالا بقوّة صدورهم.
و تصادموا في تقابلهم، و هناك دار كلّ منهم، متّجها إلى الوراء، و هم
يتصايحون: «لماذا تحرص؟» و «لا لماذا تبدّد؟».
و هكذا رجعوا داخل الدائرة المظلمة، من كلا الجانبين إلى النقطة
المقابلة، و هم يصيحون دوما بهذا الكلام المشين.⁽³⁾

ثم يفسر دانتي سبب سلوكهم بقوله:

قال لي: «هؤلاء جميعا انحرفت عقولهم كثيرا في الحياة الأولى، حتى لم ينفقوا
شيئا عن تدبير سليم».⁽⁴⁾

(1) دانتي ، الكوميديا الإلهية(الجحيم)، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، ط2، 1988.

(2)(3) المرجع نفسه، ص155.

(4) المرجع نفسه، ص156.

ثم إنَّ سلوكهما أدّى إلى عدم و صولهما إلى الإحساس بالسعادة في الدنيا فيقول:

لقد أفقدهم سوء البذل و سوء الحفظ العالم الجميل، و ألقى بهم في هذا

الصِّراع: و لست أتمق كلاما لكي أصوره⁽¹⁾.

ثمَّ يخصّ البخلاء بوصفه:

أولئك كانوا قساوسة، و هم ليس على رؤوسهم غطاء من شعر،

باباوات كانوا و كرادلة، و قد تجلّى البخل فيهم إلى غايته القصوى⁽²⁾.

و لا يمكن التعليق على هذا الرأى إلا بكون الفترة التي يعيش فيها دانتى قد عانى

فيها النَّاس كثيرا من وراء سيطرة الكنيسة.

خلاصة القول أنّ النَّفس تعاني من أجل المال و لكّنه لا يريحها حينما نسيء استعماله.

*** السينما:**

العديد من المسرحيات و الروايات الغربية التي مرّت بنا قد حُوّلت إلى أعمال سينمائية

و تلفزيونية أشهرها الفيلم السينمائي " البخيل " المقتبس عن مسرحية " البخيل " لموليير،

من إخراج Jean Girault و Luis De Funès و من بطولة هذا الأخير في دور

Harpagon ، من إنتاج شركة Films Christian Fechner، سنة 1980⁽³⁾.

و العمل نفسه قام به Robert Zemeckis ، بإخراجه لفيلم A Christmas Carol

المقتبس عن رواية شارلز ديكنز " أنشودة الميلاد " ، و قد منحت البطولة فيه للممثل

Jim Carrey بدور سكروج، و أنتج الفيلم سنة 2009⁽⁴⁾.

كما حُوّلت مسرحية شكسبير " تاجر البندقية " إلى عمل سينمائي من طرف Michael

Radford من بطولة Al Pacino في دور شاييلوك، وكان هذا سنة 2004⁽⁵⁾.

(1) (2) المرجع نفسه، ص156.

(3) <http://fr.wikipedia.org>

(4) <http://www.imadb.com>

(5) <http://cinema.fluctiat.net>

الفصل الثاني:

ظاهرة البخل في الأمثال الشعبية عامة

(عرض و دراسة)

قبل أن نستهل دراستنا المتعلقة بقضية البخل في المثل الشعبي المستمد من بيئات مختلفة، فكرنا أنه من المنطقي و المفيد أن نقدم صورة عن المثل (مفهومه أنواعه، فائدته...)، ثم ارتأينا أن نعرض أيضا مجموعة من الأمثال الفصيحة المستمدة من التراث العربي القديم، و التي لها علاقة بالموضوع المطروح.

أ/ نظرة عامة حول المثل:

1- مفهومه:

يكاد لا يخلو مصدر قديم أو مرجع حديث- يؤرخ للأدب العربي- من فصل أو باب مخصص لفنّ الأمثال، تعريفا أو شرحا أو جمعا... بسبب ما يمثله هذا الفن المتجذر في حياتنا اليومية، و باعتبار كتاب "الأمثال" للميداني هو المعين الأول الجامع لهذا النوع من التعبير، فقد أورد صاحبه عدة تعاريف له على السنة كبار الأدباء و المؤرخين للأدب العربي، منها التعريف الذي أورده عن المبرد، و فيه يشرح كلمة المثل باعتماد الصورة الحسية بقوله: «المثل مأخوذ من المثل، و هو قول سائر يُشَبَّه به حال الثاني بالأول، و الأصل فيه التشبيه، فقولهم: "مثل بين يديه" إذا انتصب، معناه أشبه بالصورة المنتصبة»⁽¹⁾.

أما المرزوقي فيرتكز في تعريفه له على مسألة الإيجاز و الانتشار بين الناس و أثره عليهم فيقول: «المثل جملة من القول مقتضبة أصلها مرسله بذاتها فتنسم بالقبول و تشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها و عما يوجه الظاهر إلى أشياء المعاني، فلذلك تُضرب و إن جهلت أسبابها التي خرجت عليها»⁽²⁾.
إلا أن أبا عبيد القاسم بن سلام الخزاعي يرى بأن المثل فن عربي بالدرجة الأولى إذ يقول: «الأمثال حكمة العرب في الجاهلية و الإسلام، و فيها تعارض كلامها، فتبلغ بذلك

(1) الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص 69.

(2) السيوطي(عبد الرحمان جلال الدين)، المزهرة في علوم اللغة و أنواعها، دار إحياء الكتب العربية،

القاهرة، 1958، ط 3، ص 487.

ثلاث خلال: إيجاز اللفظ و إيجاز المعنى و حسن التشبيه»⁽¹⁾، و من وجهة نظرنا، هذا الموقف يكشف عن قصور في الرؤية، فكل الأمم لها أمثالها و حكمها. و قد يرى البعض مبالغة في التعريف التالي، و الذي جاء على لسان ابن عبد ربه، لما فضله على فني الشعر و الخطابة، و مرد ذلك في نظره عائد إلى الجانب اللغوي الجمالي للمثل المساعد على حفظه، و المؤدي إلى كثرة استعماله: «هو وشي الكلام، و جوهرة اللفظ، و حلي المعاني التي تخيرتها العرب و قدّمتها العجم، و تُطَقُّ بها في كل زمان و على كل لسان، فهي أبقى من الشعر و أشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها و لا عمّ عمومها حتى قيل "أسير من مثل"»⁽²⁾.

في حين يورد الإمام فخر الدين الرازي لنا الدليل على استحسان الناس للأمثال و تداولها فيما بينهم، و هو تداوله عند العرب، بحجة أنهم تمثلوا بأحقر الأشياء، كالذرة و الذباب و القراد، و الجراد و الفراشة و البعوضة فقالوا: أجمع من ذرة، و أطيش من الذباب، و أسمع من قراد، و أفسد من جرادة، و أطيش من فراشة، و أضعف من بعوضة، و كذا العجم، من خلال الأمثال التي احتواها كتاب "كليلة و دمنة" ...⁽³⁾.

خلاصة هذه التعريفات، أن العلماء القدماء يتفقون على أن المثل هو قمة البلاغة، لما يتميز به من إيجاز في اللفظ، و دقة المعنى، و سحر البيان، سريع الحفظ، دائم التداول، عرفه العرب و العجم، قديما و حديثا، يستعمل في توجيه سلوكيات الناس. و قد اعتمد المحدثون على السابقين في تعريفاتهم له، فهي هو أحمد أمين يقول عنه: «هو نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ و حسن المعنى و لطف التشبيه و جودة الكتابة و لا تكاد

(1) السيوطي(عبد الرحمان جلال الدين)، المزهرة في علوم اللغة و أنواعها، ص 08.

(2) ابن عبد ربه، الجوهرة في المثل، ج 2 من كتاب العقد الفريد، طبعة المعهد الفرنسي، 1953، بيروت ص 58.

(3) محمد بن عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعة الأمثال القرآنية، ج 1، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1993، ص 55.

تخلو منه أمة من الأمم، و مزينة الأمثال أنها تتبع من طبقات الشعب» (1).

أمّا عبد المالك مرتاض فحاول أن يكون أكثر دقة في تعريفه للمثل بإشارة إلى منشئه لدى عامة الناس، و بالتالي قدرته على التعبير عن أي شيء و عن أي حالة شعورية في الحياة فيقول: «و لما كانت الأمثال فناً من الفنون الأدبية الشعبية الحية، تعلقت بكلّ شيء و تناولت كلّ شيء يتصل بالحياة، فتراها تعالج الأخلاق، و الحكمة، و التربية و التوجيه، و السخرية و التهكم، و النكتة و الفكاهة، و الموعدة و العبرة، و الحبّ و الكره، و الاضطراب، و الاطمئنان، و الخوف و الأمن، و السعادة و الشقاء، و الخصب و الجذب، و الحرب و السلم، و الحياة و الموت، فكل ما يتصل بالحياة و يحوم حولها، و ينبع منها أو يصب فيها، مجال فسيح لفن المثل» (2).

و إذا تمعنا في القول التالي فس نجد صاحبه قد ألمح إلى تناقل الناس المثل فيما بينهم شفهيًا معبرين به عن مواقفهم من تجارب الحياة، و فيه من البيان ما يؤثر في المتلقين و يكسبه مصداقية تجعلهم يتقبلونه و يتمثلون به من دون أيّ تردد: «إن المثل هو هذا الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي، و لا ضرورة لأن تكون عبارته تامة التركيب بحيث يمكن أن تنطوي في رحابه التشبيهات و الاستعارات و الكنايات التقليدية» (3).

(1) أحمد أمين، قاموس العادات و التقاليد و التعبيرات المصرية، ط 1، القاهرة، 1953، ص 61.

(2) عبد الملك مرتاض، دلالة الأمثال و الحكم الشعبية على نقاوة عاميتها، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الإعلام و الثقافة بالجزائر، العدد 25، السنة الخامسة، 1975، ص 34.

(3) أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، دار القلم، القاهرة، ص 6.

2- أنواعه انطلاقاً من منابعه:

المثل القرآني:

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»⁽¹⁾، ويقول تعالى: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»⁽²⁾، كما يقول سبحانه: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ»⁽³⁾، ويقول عز من قائل: «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ»⁽⁴⁾، وغير ذلك من الآيات البيّنات التي تبين اهتمام القرآن الكريم بضرب الأمثال المتنوعة المعبرة التي تشمل كل نواحي الحياة للناس، فالعباد يحتاجون إليها عندما تغيب عن أبصارهم و أسماعهم الأشياء، ليعقلوا ما بها من حكمة وما لها من مدلولات عظيمة قيمة، و في ذلك تعظيم لشأنها لأن لها تأثير كبير و أقوى من سَوَقِ الدلائل والحجج المجردة.

و تتنوع الأمثال الربانية بين الصراحة في استخدام قاعدة التشبيه المعتادة لدى الناس مثلما يوضح ذلك ابن قيم الجوزي بقوله: « هو تشبيه شيء بشيء في حكمة، و تقريب المفعول من المحسوس، أو المحسوس من الآخر و اعتبار أحدهما شبيهاً بالآخر... و نجد أكثره على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى: «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ»⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

أو باعتماد التشبيه الضمني، كقوله تعالى: «وَلَا يَعْتَبُ بَعْضُكُمْ بِعَضَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرَهُنْمُوهُ»⁽⁷⁾، أو ما لم يشتمل على تشبيه أو استعارة كقوله تعالى

(1) العنكبوت، الآية 43.

(2) الحشر، الآية 21.

(3) الروم، الآية 58.

(4) الرعد، الآية 17.

(5) يونس، الآية 24.

(6) محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعة الأمثال القرآنية، ج 1، ص 178.

(7) الحجرات، الآية 12.

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا دُبَابًا وَ لَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْأَلُهُمُ الدُّبَابُ شَيْئًا لَأَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَ الْمَطْلُوبِ» (1).

المثل النبوي:

لقد نوع كُتَاب السير و أطالوا الحديث عن كمال خُلُق الرسول- صلى الله عليه و سلم- و فصاحته، كيف لا و هو أفضل خُلُق الله، و مما قيل في بلاغة لسانه و في حسن ضربه للأمثال ما جاء في كتاب الأمثال للميداني: « إِنْ كَلَامَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ- وَ هُوَ أَفْصَحُ الْعَرَبِ لِسَانًا، وَ أَكْمَلُهُمْ بَيَانًا، وَ أَرْجَحُهُمْ فِي إِضْحَاحِ الْقَوْلِ مِيزَانًا- لَمْ يَخْلُ مِنْ إِيرَادِهِ وَ إِصْدَارِهِ، وَ تَبْشِيرِهِ وَ إِنْذَارِهِ، مِنْ مَثَلٍ يَحُوزُ قِصْبَ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ الْإِيجَازِ وَ يَسْتَوْلِي عَلَى أَمَدِ الْحَسَنِ فِي صِنْعَةِ الْإِعْجَازِ» (2)، و أمثاله التي صارت تتداول على ألسنة الناس لا تُعد و لا تحصى منها قوله: «الوحدة خير من جليس السوء» (3)، و «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» (4)، و «انتظار الفرج عبادة» (5).

والأمر يستوفي بقية الأنبياء، فهم أيضا كانوا يضربون الأمثال في تبليغهم لدعواتهم، حتى يكون لكلامهم صدى و تأثير لدى العباد، و عن ذلك يقول الشيخ أحمد الباقوري: « و من هنا نرى الرسول - صلى الله عليه و سلم- مع سائر إخوته الأنبياء و الرسل يعنون أبلغ العناية بالأمثال، يضربونها تبيانًا، إذ كانوا- صلوات الله عليهم- مبعوثين للتذكير و التعليم، فكانوا من أجل ذلك أجلّ قدرا، و أرفع منزلة من أن يتشادقوا بالقول..» (6).

المثل القصصي:

نعني به المثل المستوحى من قصة واردة في أحد الكتب السماوية، مثلا قصة موسى و الخضر أنتجت المثل: «إنك لن تستطيع معي صبرا» (7)، و «قصة الحمار

(1) الحج، الآية 73.

(2) الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص 64.

(3)(4)(5) الأبيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، دار صادر بيروت، ط3، 2007، ص 42.

(6) محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعة الأمثال القرآنية، ج 1، ص 185.

(7) المرجع نفسه، ج 1، ص 131.

الذي يحمل الكتب و لا يفهم مضمونها، أنتجت المثل: "يحمل أسفارا" (1).
أو قد يُبنى من قصة خرافية أي على السنة الحيوانات كما في كتاب "كليلة و دمنة"،
و باعتبار الهند أرض الحكمة و الأساطير، فهي- كما يرى أغلب المؤرخين للأدب- مهد
هذا النوع الأدبي، بل و قد يكون كتاب "كليلة و دمنة" أصلا للأمثال (2).
أو يُستوحى من قصة حقيقية كقولهم: "اقتلوني و مالكا" (3) فقيل فيه: «أن رجلين
اقتتلا و اصطرعا و تجمع الناس عليهما، فصاح أحدهما و هو متشبث بخصمه "اقتلوني
و مالكا، و اقتلوا مالكا معي" يقصد خصمه الذي يصرعه، فهو يريد أن يموت و عدوه معه،
مادام أنه لا بد مقتول*.

أو قصة خيالية يؤلفها أحدهم لإيصال رسالة أو عبرة للناس كما في قولهم: "وافق سنُّ
طبقة" (4).

المثل الناشئ عن تشبيه:

من طبيعة البشر أنهم مولعون بمدح أو ذم بعضهم البعض، أو قل مولعون بتوجيه النقد
عموما، فمثلا نحن كعرب، إذا أردنا أن نمدح إنسانا كريما شبهناه بحاتم فنقول: "أجود من
حاتم"، و إذا أردنا أن نهجو بخيلا شبهناه بمادر فنقول: "أبخل من مادر" ... فنحن في هذه
الأمثلة و غيرها، نشبه بين السابق و اللاحق (5).

المثل الناشئ عن حكمة:

كثيرا ما يعتمد منشئو الأمثال على ما يحفظون من الحكم للشبه الكبير القائم

(1) المرجع نفسه، ج 1، ص 132.

(2) حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي و تاريخه، م 2، دار الجيل، 2003، لبنان، ص 69.

(3)(4) الميداني، مجمع الأمثال، ص 131.

* الرجلان هما مالك بن الأشتر، و عبد الله بن الزبير و الواقعة كانت في "وقعة الجمل".

(5) محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعة الأمثال القرآنية، ج 1، ص 131.

بينهما ، و هو ما يسهل المهمة، مثال ذلك قول زهير:

رأيت الموت خبط عشواء من تصب وتمته و من تخطئ يعمر فيهرم
أنتج المثل: " خبط عشواء" (1).

المثل الناشئ عن شعر:

و فيه يستغل الناس الأبيات الشعرية ذات الطبيعة الحكيمة لتصبح أمثالا تضرب في
المواقف المناسبة لمعانيها، فيأخذون بيتا كاملا أو شطره أو عبارة منه كاملة أو محورة،
و مثل ذلك قولهم:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل و كلّ نعيم لا محالة زائل (2)
أو:

إن كنت لا ترضى بما قد ترى فدونك الحبل به فاختنق (3)

المثل العامي (الشعبي):

يصدر عن عامة الناس و الفرق بينه و الفصيح أنه يأتي « في عبارة غير مصقولة، و لا
يظهر فيه أثر الصنعة... يتردد على ألسنة العامة، و ليس مقصورا على الخاصة لأنه لغة
الشعب» (4).

و يعرفها الدكتور سيد عويس: « الأمثال الشعبية: هي تكثيف شديد للغاية لتجارب سلوكية
استحالت بفعل الممارسة الطويلة إلى قيمة اجتماعية» (5).

3- الفرق بين المثل و الحكمة و النادرة:

قليلون هم من يملكون نعمة الحكمة، و هي بكل بساطة رجاحة العقل و حسن
التصرف في مختلف المواقف و مع مختلف النماذج الإنسانية، و لا يتأتى لهم ذلك إلا

(1) محمد عبد الوهاب عبد اللطيف، موسوعة الأمثال القرآنية، ج 1 ، ص131.

(2) المرجع نفسه، ص 132.

(3) الأبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص 45.

(4) (5) الميداني، مجمع الأمثال، ص 160.

بطول مراس في الحياة، ثم يعبرون عن ذلك بعبارات تلخص تلك التجارب، بعبارة أخرى أدق « الحكمة عصارة خبرة في الحياة، و خلاصة فهم لأسرارها... يُدبجها ذهن ذكي فطن، في جملة مرصوفة رصًا محكما، تستخدم في المناسبات»⁽¹⁾.

«أما المثل فقول يشبه الحكمة في إيجازه و رصه لكنه يختلف عنها بعمقه، فأنت تستخدمه كما روي بحروفه، لا تبدل فيه و لا تغير»⁽²⁾.

النادرة حكمة صحيحة تؤدي ما يؤدي عنه المثل، إلا أنها لم تشع في الجمهور، و لم تجر إلا بين الخواص، و ليس بينها و بين المثل إلا الشيوخ وحده»⁽³⁾.

نستخلص من هذه التعريفات أن كلا من الحكمة و المثل و النادرة تشترك في أمور محددة و هي حملها لمعاني ذات مغزى مفيد لكل الناس في كل مكان و زمان، تتسم أيضا بالإيجاز و حسن الصياغة، و يبقى الاختلاف في القائل و درجة الشيوخ.

4- فائدة المثل:

لا تخلو أمة من أمثال يضربها أفرادها في ما يلائم ظروف الحياة و حوادثها، و يرى في كثرة أمثال أمة ما دلالة على ذكائها، و حيويتها، و على قوة تأثيرها البالغ بحوادث الأيام ، فتتوجه إلى إيجاز ملاحظتها المهولة و قصصها الطويلة، و اضطراباتها الطاحنة و خطوبها السوداء في عبارة قصيرة جامعة تسمى مثلا⁽⁴⁾.

و نظرا للدور الذي تلعبه بهذا الشأن، تعد الأمثال بالنسبة لهذه الأمم « قواعد و أصول تضبط حياتها و تفسر لها ظواهرها و ترسم لها مناهج و سبل الحياة السعيدة، و من الناحية الأخرى فإن المثل سلاح قوي يشهره العامة في مواجهة الشذوذ و الانحرافات الاجتماعية أيّا كانت، و سياج يضرب به المجتمع من حوله لكي يحمي نفسه و عاداته

(1) (2) الميداني، مجمع الأمثال ، ص 174.

(3) السيوطي، المزهري في علوم اللغة و أنواعها، م 1، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط 3، 1958، ص 486.

(4) عبد المالك مرتاض، دلالة الأمثال و الحكم الشعبية على نقاوة عاميتها، ص 34.

و تقاليده و يحفظها من الشطط أو المروق»⁽¹⁾.

يمكن لنا في الأخير أن نقول بأن ضرب الأمثال نوع من أنواع البلاغة الموجزة لإبراز المعاني وتقريبها إلى الأذهان بصورة تجذب اهتمام السامع أو القارئ، وتؤكد المعنى والغرض المطلوب، وتجعله ماثلا في الأذهان لفترات طويلة بكلمات يسهل تذكرها وأحيانا بأسلوب له جرس موسيقي خاص.

والأمثال السائرة، العامية والفصحى، نثرا أو شعرا، كلها من التراث الأدبي في حياة الناس على مختلف طبقاتهم، فهي خبرات الحياة وحصيلة تجارب الأجيال المتتابعة على مدار التاريخ، يتداولها الناس ويتوارثونها لما لها من أهمية واقعية فيما بينهم من علاقات ومعاملات، وهي من العلامات المميزة للمجتمعات الإنسانية حيث لكل مجتمع تراثه من الأمثال التي لا يعرف على وجه التحديد بداية معظمها أو هوية قائلها، ولكنها في بعض الأحيان ترتبط بحادث معروف أو بقصة قديمة مشهورة.

وتتشابه كثير من أمثال المجتمعات المختلفة في معانيها وفي مدلولاتها فهي كلها تمثل حصيلة تجارب إنسانية، والإنسان هو الإنسان في كل زمان ومكان، لا تتغير أفكاره وتطلعاته، ولا تتبدل شهواته ولا حاجاته أو خواصه الفطرية بتغير الزمان أو المكان، ولذلك فالأمثال المرتبطة مثلا بعلاقات الأهل والأصدقاء والأعداء، ومفاهيم الخير والشر ومختلف القيم الإنسانية تكاد تكون واحدة في كل مكان.

وبالنسبة للعرب فإن تراثهم من الأمثال غزير جدا، يعبر عن أفكارهم ومفاهيمهم وتطلعاتهم وبالتالي أعمالهم ومعاملاتهم مما جعل لهم هوية ثقافية واجتماعية وشخصية متميزة واضحة المعالم ومحددة الاتجاهات، وقد أضاف إليها الإسلام رصيذا قيما من الأمثال تعتمد في جوهرها على الفكر الإسلامي جملة وتفصيلا، بل إن كثيرا من الجمل القرآنية والآيات وأحاديث الرسول -عليه الصلاة والسلام- أصبحت تجري على ألسنة الناس مجرى

(1) كراب، علم الفلكلور، ترجمة، صالح رشدي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص 243.

الأمثال، وذلك بالإضافة إلى ما لكل مجتمع من المجتمعات العربية من حصيلة خاصة من الأمثال النابعة من ظروفه الجغرافية والمناخية وعاداته وتقاليده التي يتميز بها عن غيره.

5- بعض الأمثال الفصيحة المتناولة للبخل:

كما قلما أنفا، و من باب الفائدة سنقدم جملة من الأمثال الفصيحة، وهي كثيرة- تلك التي عبرت عن البخل، و سنكتفي بذكر بعضها معتمدين أساسا على كتاب "الأمثال" للميداني، و لا نجد في ذلك غرابة، فهو يعد المصدر الأول الذي جمعت فيه أمثال العرب فكان مصدرا غزيرا، يقدم المادة لكل دارس حينما يتعلق الأمر بالأمثال، و لم نشأ تحليلها أو حتى التعليق عليها لأنه ليس هدفنا، و تركنا ذلك للأمثال الشعبية:

- « إذا قلت له زن، طأطأ رأسه و حزن »⁽¹⁾ .

- « بقّ نعليك و ابذل قدميك »، يضرب عند حفظ المال و بذل النفس لصونه⁽²⁾ .

- « أبخل من مادر »، هو رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة، و بلغ من بخله أن سقى إبله فبقى في أسفل الحوض ماء قليل، فسلك فيه و مدر الحوض به، فسمي مادرا لذلك، و اسمه مخارق⁽³⁾ .

- « أجمع من نملة »، و يقال « أجمع من ذرّة »⁽⁴⁾ .

- « حثام تكرر و لا تنقع »، يقال: كرع في الماء و كرع أيضا: إذا ورد الماء فتناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه و لا بإناء، و نقع: معناه روى و أروى أيضا... يضرب للحريص في جمع الشيء⁽⁵⁾ .

- « دمعة من عوراء غنيمة باردة »، أي من عين عوراء، يضرب للبخيل يصل إليك منه القليل⁽⁶⁾ .

(1) الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، دار صادر، بيروت، ط 1، 2002، ص 61.

(2) المرجع نفسه، ص 92.

(3) المرجع نفسه، ص 303.

(4) المرجع نفسه، ص 407.

(5) المرجع نفسه، ص 517.

(6) المرجع نفسه، ص 644.

- « فلان جعد الديدن»، إذا كان بخيلا⁽¹⁾.
- « ربّ جزّة على شاة سوء»، الجزّة: ما يجزّ من الصوف، يضرب للبخيل المستغني⁽²⁾.
- « أرى خالا و لا أرى مطرا»، الخال: السحاب يرجى منه المطر، يضرب للكثير المال لا يصاب منه خير⁽³⁾.
- « عصبه عصب السّلمة»: و يروى " أعصبه" على وجه الأمر، و هي شجرة إذا أرادوا قطعها عصبوا أغصانها عصبا شديدا حتى يصلوا إليها و إلى أصلها فيقطعوه، يضرب للبخيل يستخرج منه الشيء على كره⁽⁴⁾.
- « المعتذر أعيأ بالقرى»: قالوا: إنهم يحمدون تلقى الضيف بالقرى قبل الحديث و يعييون عليه تلقية بالحديث و الالتجاء إلى المعذرة و السّعال و التّحنح، و يزعمون أن البخيل يعتريه عند السؤال بهر و عيّ فيسعل و يتّحنح⁽⁵⁾.
- « في المال أشراك و إن شحّ ربه»: أشراك: جمع شريك...يعنون الحادث و الوارث⁽⁶⁾.
- « قبل النّفاس كنت مصفرة»: يضرب للبخيل يعتلّ بالإعدام و هو مع الإثراء كان بخيلا⁽⁷⁾.
- و يقال أيضا في المعنى نفسه « قبل البكاء كان وجهك عابسا»⁽⁸⁾.
- « كسفا و إمساكا»: يقال: " وجه كاسف" أي عابس: يضرب للبخيل العابس⁽⁹⁾.
- « كالإبرة تكسو الناس واستها عاري»⁽¹⁰⁾.

(1) المرجع نفسه، ص 644.

(2) المرجع نفسه، ص 313.

(3) المرجع نفسه، ص 304.

(4) المرجع نفسه، ج 2، ص 17.

(5) المرجع نفسه، ج 2، ص 33.

(6) المرجع نفسه، ج 2، ص 78.

(7) (8) المرجع نفسه، ج 2، ص 92.

(9) المرجع نفسه، ج 2، ص 153.

(10) المرجع نفسه، ج 2، ص 172.

- « لا يكسب الحمد فتى شحيح»: يضرب في ذم البخيل (1).
- « الأم من راضع اللبن»: هو رجل من العرب كان يرضع اللبن من حلمة شاته، و لا يحلبها، مخافة أن يسمع وقع الحلب في الإناء فيطلب منه (2).
- « لا تسقط من كفيه خردلة» (3).
- « لا يجيء من خله عصير» (4).
- « ما تبلّ إحدى يديه الأخرى» (5).
- «مرعى و لا أكولة»: الكولة: الشاة التي تعزل للأكل و تسمن، يضرب للمتمول و لا آكل لماله (6).
- « من شرّ ما ألقاك أهلك»: يقال: لو كان فيك خير تحاماك الناس، و يروى: «من شرّ ما طرحك»، يضرب للبخيل يزهد فيه الناس (7).
- « ما عنده طائل و لا نائل»: الطائل: من الطول، و هو الفضل، و النائل: من النوال، أي العطية، و المعنى ما عنده فضل و لا جود (8).
- « ما في الحجر مبعى و لا عند فلان»: يضرب في تأكيد اللؤم و قلة الخير (9).
- « نظر الشحيح إلى الغريم المفلس نظيف القدر» (10).

-
- (1) المرجع نفسه، ج 2، ص 248.
- (2) المرجع نفسه، ج 2، ص 251.
- (3) المرجع نفسه، ج 2، ص 259.
- (4) المرجع نفسه، ج 2، ص 259.
- (5) المرجع نفسه، ج 2، ص 267.
- (6) المرجع نفسه، ج 2، ص 277.
- (7) المرجع نفسه، ج 2، ص 284.
- (8) المرجع نفسه، ج 2، ص 285.
- (9) المرجع نفسه، ج 2، ص 287.
- (10) المرجع نفسه، ج 2، ص 358.

ب/ دراسة مقارنة لقضية البخل في الأمثال الشعبية العالمية:

لكلّ أمة لغتها و لهجاتها، و لكل منها طريقتها في التعبير عن أفكارها و مشاعرها، و هذا ما يكسبها خصوصية و تفردا عن الأمم الأخرى، و تعد الأمثال شكلا من أشكال التعبير لدى كل واحدة منها و رمزا من رموز ثقافتها المحلية، فهو ليس حكرا على شعب ما.

هذا من جهة، و من جهة أخرى يرى بعض المنظرين للأدب المقارن كغنيمي هلال أنه لا تتم دراسة مقارنة لعمليين أو شخصيتين أدبيتين إلا إذا كانت بينهما صلة تاريخية أو علاقة تأثير أو تأثر، و هذا ما يحدّ من عدد الدراسات التي يمكن أن تجرى، و قد يوصلنا ذلك إلى متاهات لا طائل من ورائها، و قد يدفع بالدارس إلى إصدار أحكام ارتجالية لا دلائل حقيقية على صحتها، من وراء خلفيات أو قناعات خاصة.

لكن البعض، و خاصة المقارنين المحدثين، يرون ضرورة تجاوز هذا الشرط و جعل المقارنة تصب فقط في الموضوعين أو المواضيع قيد الدراسة باستتباط أوجه التشابه و الاختلاف بينهما شرط أن تكون من جنس أدبي واحد أو تدور حول موضوع واحد، و لكن بلغات مختلفة.

و بما أن الأمثال الفصحى أو العامية عموما هي مجهولة المؤلف فهي تفرض علينا الاتجاه الثاني من الدراسة، و مجموعة الأمثال الشعبية التي أمامنا هي من قوميات مختلفة، و ركزنا على بعض أهم لغات العالم، و بالنسبة للعربية باعتبارها متعددة اللهجات، فإننا اخترنا عينات من الأمثال تمثل مناطق مختلفة من الوطن العربي علنا نحيط به.

أساس دراستنا سيكون تتبع طريقة تناول هذه الأمثال موضوع البخل، و علاقة الإنسان بالمال، و موقف الغني و البخيل منه، و مكانته عنده مقارنة مع قيم و سلوكيات إنسانية أخرى كالسعادة و الصداقة...، و هل هو صفة مكتسبة أم متوارثة...؟

نسعى من وراء هذا إلى معرفة مدى اتفاق هذه الأمثال في موقفها من هذه الرذيلة، و هل هناك اختلافات، و هل هناك خصوصيات في التعبير عن ذلك. و عليه و بمجرد قراءة أولية، يدرك الملاحظ لهذه الأمثال المنتقاة أنها تتفق في أشياء كثيرة بشأن نفسية و تفكير و تصرفات البخيل، و النتائج الناجمة عن سلوكياته، و سنوضح ذلك من خلال النقاط الرئيسية التالية:

البخل أساسه الطمع:

فهما صفتان متلازمتان، البخل يقوده طمعه إلى اكتساب كل شيء و لا يرضى بشيء، ثم يسعى إلى الاحتفاظ بما كسبه، لكنه بطمعه يفقد أشياء كثيرة و ثمينة، و الكتب السماوية و الحكايات و الأساطير المروية تثبت ذلك، انظر إلى مجموعة الأمثال العربية التالية التي تعبر عن هذا المعنى بصيغ متعددة:

« شاف القمح دق شعيراته »⁽⁰¹⁾، و « اللي ما يقنع بالخبزة ما يقنع بئصها »⁽⁰²⁾، «الطمع يجري الشيوخ»⁽⁰³⁾، « أبو ألف حسد أبو مية »⁽⁰⁴⁾، « ابن آدم ما يملأش عينه إلا الثراب»⁽⁰⁵⁾، « لما افرقت العقول كل واحد عجب عقله و لما افرقت الأرزاق ما حدش عجب رزقه»⁽⁰⁶⁾، « اللي ما يشبع من بيئه ما يشبع من بيت الجيران»⁽⁰⁷⁾، « إذا كفاك ما يرويك كف غيرك ما يكفيك»⁽⁰⁸⁾، « أعيون اللي ما تنكسر ما يفيد فيها عصر»⁽⁰⁹⁾.

ليس من الصعوبة إدراك ما تنفق حوله هذه العينة في أن البخل لا يرضى أبدا بما تحويه

(1) قادة بوتران، الأمثال الشعبية الجزائرية، دار الحضارة ، ص 89.

(2) المرجع نفسه، ص 199.

(3) رابح حدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الجزائرية، ص 95.

(4) أحمد تيمور باشا، الأمثال العامية، دار الكتاب العربي، ط 2، مصر، 1956، ص 07.

(5) وفاء الحناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط 3، ص 115.

(6) المرجع نفسه، ص 162.

(7) محمد سعيد مبيض، الحكم و الأمثال الشعبية في الديار الشامية، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ط 1،

1986، ص 60.

(8) <http://forum.montadayatbh.net/showthread.php>

(9) المرجع نفسه.

يداه مهما كان حجمه، إذ تزيع عيناه إلى ما عند الآخرين مما يوئد الحسد و العداوة، و لا ينتهي طمعه إلا بعد وفاته.

و هو ما توافقه الأمثال الفرنسية التالية:

«C'est folie de perdre la chair pour les os»⁽¹⁾.

« من الحماسة تضييع اللحم من أجل العظم»

«Chercher à tondre sur un œuf»⁽²⁾

« يريد أن يجتز* البيضة ».

«Il n'y a pas de petites économies»⁽³⁾

لا يوجد ادّخار صغير.

كما لا يبتعد المثلان الإنجليزيان التاليان عن الفكرة لكن مع الإلحاح على أن البخل يزداد بازدياد الامتلاك:

«A poor man wants something; a covetous man wants all things»⁽⁴⁾

الرجل الفقير يريد شيئاً، الطمّاع يريد كل شيء.

« It is not want, but abundance, that makes avarice»⁽⁵⁾

(1)Leroux de lincy, le Livre des proverbes de français, tome 02, Adolphe Delahays, 2^{em} édition, Paris, 1859, p246.

(2) المرجع نفسه، ص 188.

* الجز: هو القص من صوف الشاة.

(3)Bouken Bachir / Amare Abelkader, Dictionnaire des proverbes et locutions proverbiales Français- Allemand- Arabe-Latin, Laboratoire de recherche ouvrages du superieur p 38.

(4) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, Whittingham and Wilkins, London, 1869 p 30.

(5) المرجع نفسه، ص 245.

ليست الحاجة، بل الوفرة هي التي تصنع البخل.

بينما يؤكد المثالان الألمانيان المواليان الفكرة باعتماد التجربة الحسية ذات الدلالة التهكمية:

«Give him an inch; he'll take an ell»⁽¹⁾

أعطه بوصة، سيأخذ ذراعاً.

«Give him your finger and he will seize your hand»⁽²⁾

أعطه أصبعك سيمسك بيدك.

و ينطبق الحال على المثل الإيطالي:

«Thirst comes from drinking»⁽³⁾

العطش يأتي من الشرب.

(1-2) <http://www.proverbatim.com/dutch/>

(3) <http://www.proverbatim.com/italian>

البخيل ذكي في الجمع غبي في العيش:

جشع البخيل يجعله يتعب في جمع ثروته متخذاً كلّ السبيل، متجاوزاً كل العقبات، ثم يحرم نفسه من التمتع بما جمعه، و في هذا المعنى المثل العربي التالي:

« زيّ ضرابين* الطوب* يعدُّ بالألفات و ينام على الأبراش*»⁽¹⁾ .

أما المثل الفرنسي الموالي فيعجب من قدرة البخيل على الحصول على ما يريده في حين هو عاجز على الحفاظ على ما لديه:

«L'avare manque aussi bien de ce qu'il a que de ce qu'il n'a pas»⁽²⁾ .

- البخيل أحوج لما بين يديه كما هو أحوج لما لا يملك.

و تتفق الأمثال التالية، و أولها الإنجليزية، في فكرة أن الثروة لا يجب أن تكون إلا في حوزة من يحسن استغلالها، و إذا كان العكس فإن الأمور تنقلب على صاحبها في الأخير و تضرّ به:

«A man that keeps richness, and enjoys it not, is like an ass that carries gold and eats thistles»⁽³⁾ .

- الرجل الذي يحتفظ بثروته، و لا يتمتع بها، مثل الحمار يحمل الذهب و يأكل العشب.
على الأقل هنا، الحمار لا يملك إرادة، على خلاف الإنسان.

(1) أحمد تيمور باشا، الأمثال العامية، دار الكتاب العربي، ط 2، مصر، 1956، ص 07.

*الطوب : اللين، و ضرابه: صانعه، والبرش جمعه أبراش : يريدون به سقيفة تنسج من الخوص كالجوالق ثم تستعمل للجلوس عليها.

(2) Leroux de lincy, le Livre des proverbes de français, tome 02, Adolphe Delahays, 2^{em} édition, Paris, 1859, p 243.

(3) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, Whittingham and Wilkins, London, 1869 p 27.

«He is not fit for richness, who is afraid to use it»⁽¹⁾ .

- لا يلائم الغنى من هو خائف من استغلاله.

«Richness abuses those who know not how to use them»⁽²⁾ .

- الثروة يفسدها من لا يحسن استعمالها.

و تبرز حكمة الصينيين في تجسيد هذه الرؤية بتشبيههم أمثال هؤلاء البخلاء بالخنزير المكننز شحما و لا يستفيد منه:

«Qu'est- ce qu'un sot qui a fait une fortune ? C'est un pourceau qui ne sait pas quoi faire de son lard»⁽³⁾ .

- ما معنى أن يصنع أحق ثروة؟ إنه خنزير لا يعرف ماذا يصنع بشحمه.

و تطابقه في توجهه هذا الأمثال التالية على التوالي، الإسباني ثم الإيطالية والألمانية فالروسية :

«La fortune envoie des amandes aux gens qui n'ont pas de dents»⁽⁴⁾ .

- الثروة تُسخر اللوز لمن لا يملكون أسنانا.

«He who has teeth has no bread, and he who has bread has no teeth»⁽⁵⁾

- من له أسنان ليس له خبز، و من له خبز ليس له أسنان..

«Who would make money must begin by spending it»⁽⁶⁾ .

- من يريد صنع المال يبدأ بإنفاقه.

(1) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, Whittingham and Wilkins, London, 1869 p 166.

(2) المرجع نفسه، ص325.

(3)<http://pagesperso-orange.fr>

(4)<http://www.proverbatim.com/italian>

و أول الأمثال الألمانية فيعتبر الفقر في القلب لأنه مصدر الرغبات، و ديدن البخيل كبت رغباته إلا في جمع المال:

«It's a poor heart that never rejoices»⁽¹⁾.

- إنه لذو قلب فقير من لا يتمتع أبداً.

The generous man enriches himself by giving; the miser hoards himself poor»⁽²⁾.

- الكريم يغني نفسه بالمنح، الشحيح يفقر نفسه بالادخار.

«The richest man, whatever his lot, is the one content with what he's got»⁽³⁾.

- الأغنياء، مهما كانوا كثيرون، واحد يكون سعيدا بما يملك.

و تبقى قيمة المال في حسن استعماله لا في ذاته، و في ذلك يبدع الروس بالقول التالي:

«Happiness is not a horse; you cannot harness it»⁽⁴⁾.

- السعادة ليس في أن تملك حصانا ثم لا يمكنك أن تستخدمه.

«Money is only good for a weekend, a holiday, and raining day»⁽⁵⁾.

- المال مفيد لنهاية الأسبوع، للعطلة، و لليوم الماطر.

البخيل لا يجود إلا بما ليس له قيمة:

من المسلم به أن البخيل لا يتكرم، فإذا صادف و فعل ذلك فهو من قبيل الشيء الذي لا قيمة

له، مثلما يعبر المثل العربي:

« لو كان فيه الخير ما كان رماه للطير»⁽⁶⁾.

و فيما يلي مثلان فرنسيان: الأول ينبهنا إلى طبع آخر يميز البخيل ألا و هو كثرة كلامه مع

انعدام كرمه:

(1)<http://www.proverbatim.com/italian>

(2-3)<http://www.proverbatim.com/dutch>

(4-5)<http://www.proverbatim.com/russian>

(3) أحمد تيمور باشا، الأمثال العامية، ص 161.

«Large de bouche, étroit de ceinture»⁽¹⁾.

- واسع الفم، ضيق الحزام، يعني: كريم في الكلام بخيل في الواقع.
و الثاني يشير إلى معنى أخطر و هو أن بخله راجع إلى اختلافه عن الناس في تقديره لقيمة الأشياء:

«Etroit à la farine, large au son »⁽²⁾.

- ضيق اليد مع الدقيق، واسعها مع النخالة.
الشيء المهم الذي سيشير إليه المثل الإسباني -و دائما في هذا النقطة بالذات- أن البخيل لا يخفي ما بداخله، لأن منطقته الخاطيء و نفسيته المريضة تتجلى في سلوكاته:

«A bad man's gift is like his master»⁽³⁾.

- العطية السيئة مثل صاحبها.

ما يملكه البخيل عائد دائما للغير:

البخيل يتعس نفسه و الآخرين و هو يكس الثروات، دون أن يخطر بباله أنه لن يتمتع بها و بأنها في الأخير ستؤول إلى غيره، أو تأتي عليها مصيبة تحرمه منها، لذا فهو يتألم مرتين، مرة في جمعها، و مرة ثانية في خسارتها دون التمتع بها ، تعبر أمثال عربية كثيرة عن هذا المعنى بالرغم من اختلاف تعابيرها منها: « اخدم يا الشاقي للباقي »⁽⁴⁾، « ابني و عَلي و فُوت و خَلي »⁽⁵⁾، « الابرة تكسي غيرها و هي عريانة »⁽⁶⁾، « اخدم يا التاعس

(1) <http://forum.montadayatbh.net/showthread.php>

(2) Leroux de lincy, le Livre des proverbes de français, tome 02, p 158.

(3) <http://www.proverbatim.com/spanishe>

(4) قادة بوتران، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 9.

(5) المرجع نفسه، ص 197.

(6) المرجع نفسه، ص 204.

للناس و كُلها يا المِرتاح»⁽¹⁾، «بناي و داره مهذومة»⁽²⁾ «جزّار و يثعّسى بالفت»⁽³⁾،
«طبّاخ صايم»⁽⁴⁾، «كِدودة الحرير تغني غيرها و تموت في سجنها»⁽⁵⁾، «ربي يخلي
الخالين باه يعيش العامرين»⁽⁶⁾، «زي الإبرة تكسي الناس و هي عريانة»⁽⁷⁾، «زي
الشمعة تحرق نفسها و تنور لغيرها»⁽⁸⁾، «مال الكُنزي * للنزهي **»⁽⁹⁾، «طمّاع بنى
بيت، مُفلس سَكَن فيه»⁽¹⁰⁾، «الفقير اللي بيجمع لغيره و يحرم نفسه»⁽¹¹⁾، «مال الخسيس
لإبليس»⁽¹²⁾، «مال الخسيس بروح رخيص»⁽¹³⁾، «مال الخسيس ما بروح *** إلا
فطيس ****»⁽¹⁴⁾، «مال البخيل ياكله العيار *****»⁽¹⁵⁾.

(1) رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 22.

(2) المرجع نفسه، ص 31.

(3) المرجع نفسه، ص 40.

(4) المرجع نفسه، ص 95.

(5) المرجع نفسه، ص 125.

(6) المرجع نفسه، ص 65.

(7) وفاء الحناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، ص 251.

(8) المرجع نفسه، ص 128.

* الكُنزي : بضم ففتح، من يكتنز المال، * * النزهي: من ينتزه و ينفق على مسراته.

(9) أحمد تيمور باشا، الأمثال العامية، ص 469.

(10) محمد سعيد مبيّض، الحكم و الأمثال الشعبية في الديار الشامية، ص 195.

(11) المرجع نفسه، ص 225.

(12-13) المرجع نفسه، ص 287.

*** بروح: يذهب.

(1)(2) محمد سعيد مبيّض، الحكم و الأمثال الشعبية في الديار الشامية، ص 287.

**** فطيس: خسارة/ ***** عيار: المعيب.

و عن هذا يعبر الفرنسيون عن طريق الكناية، فالمال أذكى من صاحبه البخيل فلا يحب السجن في الكيس، و إنما يحب الحرية و ما الحرية عنده إلا التنقل بين أيدي الناس:
«Avarice rompt le sac»⁽¹⁾.

- البخل يُمزق الكيس.

البخيل لا يُحبّ و لا يُحبّ:

إذا كان البخيل لا يسعد نفسه فكيف يفيد أو يسعد غيره؟ فالمعروف عنه أنه يكره الآخرين حتى و إن كانوا من أقرب الناس إليه، كما يمقت الضيف؛ و يكره كل ما يدفعه إلى المنح، و بما أنّ العطاء مصدره الحب، فإن البخيل يظهر السوء في تعامله مع الناس متعذرا بمختلف الأعذار،

و في هذا المعنى ضرب العرب أمثالا كثيرة منها:

« كِطَابُ جِنَانِهِ نَائِفٌ جِيرَانُهُ »⁽²⁾، « طَوَى الْجُلُودَ خَلَاهَا غَيْرَ فُعود »⁽³⁾، « القِصعة اللّبي ما فيها عشايا يجعلها تنفعر »⁽⁴⁾، « بيكره الضيف و زواته * معه »⁽⁵⁾، « لا هو للسيف و لا هو للضيف و لا هو لِعَدْرَاتِ الزمان »⁽⁶⁾، « لا تكون بخيل، مَرضاة الولد بشي قليل. أو يا أم الأولاد لا تكوني بخيلة ، مرضاة الأولاد بأشياء قليلة »⁽⁷⁾، « لاقى لي (لاقيني) و لا

(1) Leroux de lincy, le Livre des proverbes de français, tome 02, p 179.

(2) قادة بوتران، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص 80.

(3) رابح خدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، ص 94.

(4) المرجع نفسه، ص 120.

(5) محمد سعيد مبيض، الحكم و الأمثال الشعبية في الديار الشامية، ص 82.

* الزوادة : من الزاد أي الطعام.

(6) المرجع نفسه، ص 270.

(7) المرجع نفسه، ص 262.

تَغْدِينِي»⁽¹⁾، «أَحْبَبْتُ يَا وَلَدِي، قَالَ: أَحَبُّكَ يَا نَافِعِي»⁽²⁾، «عذر البخيل برمضان»⁽³⁾،
«ما يعطي السخونة عن جسده»⁽⁴⁾، «لا إحسان و لا حلاوة لسان»⁽⁵⁾.

الشيء الذي تصر على الإفصاح عنه هذه الأمثال، هو أن المخاوف التي يتوهمها
البخيل في أن الآخرين يحسدونه و يرغبون في اغتصاب ممتلكاته، تُسكن قلبه الرعبَ
و قلة الثقة في غيره، و تجعله يُفتر منهم غير مدرك بأنهم هم الذين ينفرون منه بسبب
تصرفاته، و كان يكفيهم أن يمنحهم ابتسامه فقط.

ويقرّ الفرنسيون في المثل الموالى بأنه لا يجب أن تتوقع خيرا من البخيل أبداً:

«L'avare n'est jamais charitable»⁽⁶⁾.

- البخيل لا يتكرّم أبداً.

و إن حاول ذلك فسيكون شبه مستحيل عليه، و هو ما عبر عنه المثل الموالى بواسطة
التشبيه:

«Il est généreux comme une noix serrée»⁽⁷⁾.

- إنه كريم مثل الجوزة المُحكمة .

و إذا تقرب من شخص ما فليس حبا فيه و إنما طمعا به و إن خالف المنطق و العادات
الاجتماعية مثلما يوحي به المثل الفرنسي أيضا:

«Celui qui prend la vieille femme, aime l'argent plus que la dame»⁽⁸⁾.

- الزواج بالعجوز هو طمع بمالها.

(1) المرجع نفسه، ص 263.

(2) المرجع نفسه، ص 279.

(3) أحمد تيمور باشا، الأمثال العامية، ص 439.

(4-5) <http://forum.montadayatbh.net/showthread>.

(6) Leroux de lincy, le Livre des proverbes de français, tome 01, p 4.

(7) Dournon, Le dictionnaire des proverbes et dictons de France, couronné par
l'Académie Française ; Hachette, 1993, p 34.

(8) المرجع السابق، ص 220.

و يُبَالِغُ فِي شَحِّهِ إِلَى دَرَجَةِ مَقْتِهِ إِلَى كُلِّ مَا يَدْفَعُهُ إِلَى الْبَذْلِ وَ لَوْ كَانَ مِفْتَاحًا مِثْلَمَا يُوحِي بِهِ الْمَثَلُ الْآتِي، وَ هَذَا مِنْ بَابِ السَّخْرِيَّةِ بِهِ لَا غَيْرَ:

«L'avare hait la clef parce quelle à des dents»⁽¹⁾.

- الْبَخِيلُ يَبْغِضُ الْمِفْتَاحَ لِأَنَّ لَهُ أَسْنَانَ.

لَيْسَ بَعِيدًا عَنْ مَعَانِي الْأَمْثَالِ السَّابِقَةِ، وَ لَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ عَلَى مَسْتَوَى الْأَمْثَالِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ نَجِدُ الْمَثَلَ الْأَوَّلَ يَشْبَهُ مَنَحَةَ الْبَخِيلِ بِمَنَحَةِ الشَّخْصِ مِنْ دَمِهِ فَقَطْ بِغَايَةِ إِظْهَارِ اسْتِحَالَةِ تَكْرَمِ الشَّحِيحِ:

«His money comes from him like drops of blood»⁽²⁾

- يَأْتِي الْمَالُ مِنْهُ مِثْلَمَا تَأْتِي قَطْرَةٌ دَمٍ.

«If you have nothing else to offer me, offer me your smile»⁽³⁾.

- إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ مَا تَمْنَحُنِي إِيَّاهُ، اَمْنَحُنِي ابْتِسَامَتَكَ.

وَ الْخَوْفُ مِنَ الْبَذْلِ يَدْفَعُ إِلَى التَّنَكُّرِ لِلْأَهْلِ كَمَا يَقُولُ الْإِسْبَانُ:

«L'avare riche ne connaît ni parent ni ami»⁽⁴⁾.

- الْبَخِيلُ الْغَنِيِّ لَا يَعْرِفُ أَهْلًا وَ لَا صَدِيقًا.

«A bad man's gift is like his master»⁽⁵⁾.

- الْعَطِيَّةُ السَّيِّئَةِ مِثْلُ صَاحِبِهَا.

(1) Josephe.N.Hajjarr, Moungeed des proverbes, sentences et expressions idiomatiques, Français-Arabe, Arabe- Français, p 53.

(2) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, p.205

(3) المرجع نفسه، ص 223.

(4-5) <http://pagesperso-orange.fr>

«Charity well regulated begins at home»⁽¹⁾.

- الصدقة الحقيقية تبدأ في البيت.

«Don't offer me advice; give me money»⁽²⁾.

- لا تمنحني نصيحة؛ امنحني مالا.

«If you are not good for yourself, how can you be good for others?»⁽³⁾

- إذا لم تكن صالحا لنفسك، كيف يمكن أن تكون كذلك للآخرين.

«When a peasant gets rich, he knows neither relations nor friends»⁽⁴⁾.

- عندما يغتني القروي، لا يميز معارفه و لا أصدقاءه.

«When poor liberal; when rich stingy»⁽⁵⁾.

- عندما يتسامح الفقير الغني يلسع.

و للألمان نظرتهم أيضا في هذه القضية، مع تركيزهم على أنانية البخيل:

«Who always takes knows not how to give»⁽⁶⁾.

- مَنْ دَومَ على الأخذ لا يعرف كيف يعطي.

(1-2-3-4-5)<http://www.proverbatim.com/spanishe>

(6)<http://www.proverbatim.com/dutch>

البخيل منبوذ مُستغل:

إذا كان من الصواب الأخذ بالأسباب لمعرفة النتائج و الإيمان بها غالباً، فإن من نتائج شح الشخص أنه يُنفر الناس منه، أهلاً كانوا أو أصدقاء أو جيران أو حتى غرباء، فيعيش طيلة عمره منبوذاً و محط استغلال من طرف الناس في حياته و بعدها، توحى بذلك الأمثال العربية الموالية:

« اللي ما تاكل في فرحُه كل في عزاه»⁽¹⁾، « مِنْ مَاله و لا يهنأ له»⁽²⁾، « مزلوط* و يخاف يحب له كاف: أي فقير و شحيح يجب أن يرمى من جبل الكاف»⁽³⁾، «إذا طعماك** كريم كُـل و أبسطه و إن طعماك بخيل كُـل و احرق قلبه»⁽⁴⁾.

أما المثل الصيني التالي فيتجاوز الحديث عن حياة البخيل إلى الحديث عن لحظة موته حين يغيب حزن الآخرين عليه، بل ربما وجدوا في ذلك راحة لهم و له.

«The only thing that was missing at the rich man's funeral was mourners»⁽⁵⁾.

- الشيء الوحيد المفقود في جنازة الغني كان التفجع.

(1) وفاء الحناجري، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية ، ص 160.

(2) المرجع نفسه، ص 161.

* مزلوط: فقير.

(3) رابح حدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الجزائرية، ص 169.

** طعماك: أطعمك.

(4) محمد سعيد مبيّض، الحكم و الأمثال الشعبية في الديار الشامية ، ص 33.

(5) <http://www.proverbatim.com/chinese>

السعادة تكمن في القناعة:

يختلف مفهوم السعادة لدى الناس فمنهم من يراها في الصحة، و منهم من يعتقد أنها في الجاه و السلطة، و آخرون يتمثلونها في الثروة و هذا الأخير هو منطق البخيل، و لكن الإنسان العاقل هو من وجد الغبطة فيما بين يديه، قلّ ذلك أو كثر، مثلما يختصره المثل العربي:

«عيش مسكين تموت شارف*»⁽¹⁾، قد يُفهم هذا المثل فهما طيبا، لأن من يبعد معدته عن التخمة يحمي نفسه من الأمراض و بالتالي يطول عمره، أو يُفهم فهما اجتماعيا لأن المسكين مرتاح البال فلا شيء يخاف عليه و بالتالي يعمر أيضا ، و في هذين الفهمين كثير من الصحة، ثم لا نرى مبالغة فيما يقوله المثل الفرنسي ثم الإنجليزي في كون الغنى يأتي من الاستغناء:

«Qui borne ses désirs est toujours riche»⁽²⁾

- من جعل حدًا لشهواته عظم غناه.

«He is rich enough that wants nothing»⁽³⁾

- غني جدا من لا يريد شيئا.

«Money is something but not everything»⁽⁴⁾

- المال شيء لكن ليس كل شيء.

و هذا الأخير يظهر أكثر واقعية، لأن المال مهم لكن لا يجب أن يرهن حياتنا. أما لدى الصينيين فتعبير خاص مبني على المقارنة البسيطة ذات المغزى العميق:

(1) قادة بوتران، الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص 195 . * شارف: مُسنّ.

(2) Bouken Bachir / Amare Abelkader, Dictionnaire des proverbes et locutions proverbiales Français- Allemand- Arabe-Latin, p 19.

(3) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, p167 .

(4)<http://bbs.24.com/thread-84490-1-1.html>

«A satisfied man is happy even if he is poor; a dissatisfied man is sad even if he is rich»⁽¹⁾

- الرجل القانع سعيد و إن كان فقيراً؛ الرجل غير القانع تعيس و إن كان غنياً.

«L'absence de désir, c'est la paix»⁽²⁾

- غيابُ الرغبة يعادل السكينة.

فإذا كانت السكينة تحصل في غياب الخوف فإن هذا الأخير يسيطر علينا حينما يكون لدينا ما يستوجب ذلك، و هو ما يدلّ به أيضاً المثل الإيطالي:

«Who has nothing fears nothing»⁽³⁾.

- من لا يملك شيئاً لا يخاف من شيء.

و التالي يؤكد أن السعادة قد تجدها في أشياء قليلة و بسيطة:

«With a piece of bread in your hand you'll find paradise under a pine tree»⁽⁴⁾.

- بقطعة خبز بين يديك ستجد الجنة تحت شجرة صنوبر.

في ثقافات عدة ترسخت في أذهان أصحابها أن الحضارات القديمة هي مصدر للكنوز الكبيرة و التي استهوت الكثيرين بالمغامرة من أجل اكتشافها و امتلاكها، هذه الحقيقة استغلها الإسبان في توضيح العكس، إذ أن الكنز الحقيقي هو ما نصنعه بداخلنا برضانا، انظر ماذا يقولون:

«He who wants to bring home the riches of India, must have them within himself»⁽⁵⁾.

(1) <http://www.proverbatim.com/chinese>

(2) <http://pagesperso-orange.fr>

(4-3) <http://www.proverbatim.com/italian>

(5) <http://www.proverbatim.com/spanishe>

- من يريد أن يجلب ثروات الهند إلى بيته، يجب أن تكون في داخله.
في حين يتفرد المثل الروسي التالي في قلب القاعدة، فالسعادة تؤدي إلى الغنى و ليس
العكس، و هذا الأمر - في رأينا- صعب الإدراك صعب التحقيق:
«What makes you happy makes you rich»⁽¹⁾ .

- ما يجعلك سعيدا يجعلك غنيا.

السعادة في مشاركة الآخرين:

مهما يكن يبقى الإنسان كائننا اجتماعيا، يتبادل مع بني جلدته الأفكار و المشاعر، كما تجمعهم
بهم مصالح مادية، لكن البخيل بمنطقه و تصرفاته يقطع هذه الروابط، إذا لم ير فيها منفعة
لنفسه، لذا تراه شحيحا في عواطفه كما في ماله، بكل بساطة لأنه لم تساور قلبه لحظات
فرح حقيقية ببذل أمور بسيطة لا تكلفه كثيرا، و في هذا يضرب العرب مثلهم: « رخّ إيدك
و كل الناس عبيدك »⁽²⁾ .

و المثل الإنجليزي التالي يصب في هذا المغزى:

«He that gives his heart will not deny his money»⁽³⁾ .

- من يمنح قلبه لن يرفض أن يمنح ماله.

و تتجدد حكمة الصينيين في قولهم المبني على الكناية:

« Flowers leave a part of their fragrance in the hands that bestow
them»⁽⁴⁾

- الأزهار تترك بعضا من شذاها في أيدي مانحها.

(1) <http://www.proverbatim.com/russian>

(2) <http://forum.montadayatbh.net/showthread.php>

(3) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, p177 .

(4)<http://www.proverbatim.com/chinese>

«If you always give, you will always have»⁽¹⁾.

و بما أن السعادة هي في القناعة بما نملك، فالسعادة الكبرى أن تشارك الآخرين في ذلك، و لا يفعل ذلك إلا من كان واثقا من الثواب على فعله، يقول المثل الفرنسي:

«Qui donne aux pauvres prête à Dieu»⁽²⁾.

- من يعطي الفقراء يعير الله.
و تؤيده الأمثال الإنجليزية:

«If the niggard should once taste the sweetness of giving, he'd give all away»⁽³⁾.

- لو يذق البخيل مرة حلاوة العطاء، سيعطي باستمرار.

«He lives twice who lives most for others»⁽⁴⁾.

- يعيش أكثر من يعيش للآخرين.

«Give a thing and take a thing, to wear the devil's gold ring»⁽⁵⁾.

- أعط شيئاً و خذ شيئاً حتى تلبس الشيطان خاتماً ذهباً.

«It's more blessed to give than to receive»⁽⁶⁾.

- إنه أكثر مباركة في أن تعطي من أن تأخذ.

و يخص المثل الإسباني الضيف بذكر ينم عن عمق تفكير:

(2-1) <http://www.proverbatim.com/chinese>

(3) Bouken Bachir / Amare Abelkader, Dictionnaire des proverbes et locutions proverbiales Français- Allemand- Arabe-Latin, p 34.

(4) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, p 223.

(6-5) <http://bbs.24.com/thread-84490-1-1.html>

« Guests always have nice backs»⁽¹⁾.

- الضيف له دائما ظهر جميل.

و للروس نظرتهم أيضا في هذا:

«A guest has not to thank the host, but the host the guest»⁽²⁾.

- ليس على الضيف شكر المضيف بل على المضيف ذلك.

«If everyone gives one thread, the poor men will have a shirt»⁽³⁾.

- إذا تكرم كل واحد بخيط واحد لبس الفقير قميصا.

«What comes out of one mouth goes into a hundred others»⁽⁴⁾.

أما الألمان فينظرون إلى الأمر من زاوية دينية، حيث أنه لو وثق كل مانح للفقير بأن الله

سيرد له منحته لما تردّد في فعل ذلك:

«He who gives to the poor lends to the Lord»⁽⁵⁾.

- مَنْ يعطي للفقير يقرض الله.

و لكن لو أيقن البخيل بأن هوسه بجمع المال لن يحقق غايته، فقط إذا أنفقه على نفسه و

الآخرين مثلما يوضح المثل الإيطالي الأول:

«Who would make money must begin by spending it»⁽⁶⁾.

- من يريد صنع المال يبدأ بإنفاقه.

و يرسخ الثاني هذه الصفة:

«The rich never have to seek out their relatives»⁽⁷⁾.

- الغني لا يبحث عن أقربائه.

(1) <http://www.proverbatim.com/spanishe>

(4-3-2) <http://www.proverbatim.com/russian>

(5)<http://www.proverbatim.com/dutch/>

(7-6) <http://www.proverbatim.com/italian>

حياة البخيل تعيسة و نهايته أتعس:

ليس من الغريب أن ترى البخيل يعاني الأمرين لما يحصر تفكيره في هدف واحد و هو اكتناز المال، و يرهق ذهنه في ابتكار الطرق المؤدية إلى ذلك و الاحتيال على أقربائه و غيرهم في سبيل ذلك؛ و في هذه الأثناء يقسو على نفسه و على من لهم حق عليه، فيحرم على ذاته ما أحله له الله و التقاليد الاجتماعية.

إن كيف ستكون نهاية هذا النموذج من البشر؟ و قبل ذلك ما مصير ثروته التي جمعها؟ نجيب عن هذه الأسئلة من خلال هذه الأمثال و الأولى تُتداول على ألسنة الفرنسيين:

«L'avarice annonce le déclin de l'âge et la fuite précipitée des plaisirs»⁽¹⁾.

- البخل يعلن اقتراب الأجل و الهروب السريع من الملذات.

«Ce que l'homme épargne de sa bouche le chat ou chien vint qui l'embouche»⁽²⁾.

- ما يحرم الرجل به بطنه يلتقمه القط أو الكلب.

أما الإنجليز فيركزون على الأثر النفسي للبخل على صاحبه:

«A great fortune is a great slavery»⁽³⁾.

- الثروة العظيمة عبودية عظيمة.

«He who earns money earns tears»⁽⁴⁾.

- من يكسب المال يذرف الدموع.

(1) Bouken Bachir / Amare Abelkader, Dictionnaire des proverbes et locutions proverbiales Français- Allemand- Arabe-Latin p55 .

(2) المرجع نفسه، ص 246.

(3) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, p 17.

(4)Wolfgan Mieder, Proverbs, p 90 .

ما يؤمن به الناس في كون الحذر يقي من الخطر لا يجدي نفعا مع البخيل، إذ تراه ينتهج مختلف السبل حفاظا على أمواله إلا أنه يجد نفسه دائما عرضة للمصائب، يعبر عن هذا الإنجليز بقولهم:

«Whoever keeps his door locked all the time longs for it to be broken down»⁽¹⁾.

- من يُبقي بابه دائما مغلقا سينكسر.

«When richness increases, the body decreases»⁽²⁾.

- يهزل الجسم عند تتضاعف الثروة.

«Fortune follows everyone to his end»⁽³⁾.

- الثروة تُشيع كل واحد إلى نهايته.

«Avarice hoards itself poor; charity gives itself rich»⁽⁴⁾.

- البخل فقر، الكرم غنى .

ظلم و قسوة و أنانية البخيل دوما تدفعه الثمن غاليا مثلما تشرحه الأمثال الإسبانية:

«Don't send away your cat for being a thief»⁽⁵⁾.

- لا تطرد قطك حتى لا يصبح سارقا.

«He who eats alone chokes alone»⁽⁶⁾.

- من يأكل لوحده يغصّ لوحده.

(1) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, Whittingham and Wilkins, London, 1869 p 459.

(2) المرجع نفسه ص 136.

(3) <http://www.special-dictionary.com/proverbs/keyword/avarice>

(4) <http://www.proverbatim.com/chinese>

(5-6) <http://www.proverbatim.com/spanishe>

«There is no thief without a receiver»⁽¹⁾.

- لا يوجد سارق بدون أمين صندوق.

«Women, wine, and fortune, soon change»⁽²⁾.

- المرأة، الخمر، الثروة، قريبا تتغير.

و من الأمور التي أثبتتها التجارب على مر الزمان، أن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة تتقلب من يوم لآخر، و يتحول معها الإنسان من معافى إلى مريض، و من صاحب جاه إلى شخص عاد، و من غني إلى فقير و العكس طبعاً صحيح في كل حالة، لكن غالباً ما يكون المال هو سبب هذه التحولات، إليك ما يشرح ذلك من الأمثال:

«Fortune changes; it makes one a king, another a dunghill»⁽³⁾.

- الثروة متحولة؛ تجعل الواحد ملكاً، و الآخر كومة روث.

«Fortune and glass break easily»⁽⁴⁾.

- الثروة و الزجاج بسرعة يتكسران.

الروسي:

«Fortune and misfortune live in the same courtyard»⁽⁵⁾.

- الثروة و المصيبة تعيشان في الفناء نفسه.

(2-1) <http://www.proverbatim.com/spanishe>

(4-3) <http://www.proverbatim.com/dutch/>

(5) <http://www.proverbatim.com/russian/>

الثروة قوّة و صاحبها سيّد:

إذا كانت الأمثال السابقة اتفقت حول نبذ البخل و البخيل، فإن أمثالا أخرى تتفق في تقديس المال و جمعه و عده قوة الإنسان و رمز عظمته و مصدر محبة الآخرين له، فلا غرابة عند البعض أن ترى الخلق يتهافتون على جمعه و يتقاتلون على الاحتفاظ به، انظر المثل العربي التالي:

« قالوا: يا ريال من خوك؟ قال: اللي أنا و إياه في صرّة وحده»⁽¹⁾.

و مجموعة أخرى من الأمثال الفرنسية:

«Drap large, servant étroit et chiche, fait le marchand content et riche»⁽²⁾.

- إزار عريض، خادم شحيح، يجعل التاجر سعيدا و غنيا.

«L'argent a bonne odeur d'où qu' il vienne»⁽³⁾.

- المال طيب الرائحة مهما كان مصدره.

«Un sou amène un autre»⁽⁴⁾.

- الفلّس يجلب الفلّس.

«Epargnez les sous, les louis prendront soin d'eux-mêmes»⁽⁵⁾.

- ادخر الفلوس، الدراهم ستعتني بنفسها.

(1) رابح حدوسي، موسوعة الجزائر في الأمثال الجزائرية، ص 120.

(2) Leroux de lincy, le Livre des proverbes de français, tome 02, p 137.

(3) Bouken Bachir / Amare Abelkader, Dictionnaire des proverbes et locutions proverbiales Français- Allemand- Arabe-Latin, p 19.

(4) المرجع نفسه، ص 38.

(5) المرجع نفسه، ص 101.

«Qui épargne gagne»⁽¹⁾.

- اللي ادّخر اربح.

و يمنح الإنجليز المال أهمية عظيمة لأنه الوساطة التي بها يحقق الإنسان حلمه و يتجاوز كل مصاعبه:

«Beauty is potent; but money is omnipotent»⁽²⁾.

- الجمال قوة، لكن المال قوة أكبر.

«God send you more wit, and me more money»⁽³⁾.

- فليمنحك الله ذكاء أكثر، و أنا مالا أكثر.

«Money is welcome even if it comes in a dirty clout»⁽⁴⁾.

- مرحبا بالمال و إن جاء من يد وسخة.

«Money is ace of trumps»⁽⁵⁾.

- المال هو الورقة الرابحة في يد اللاعب.

«Ready money is ready medicine»⁽⁶⁾.

- المال الحاضر هو دواء حاضر.

«Show your money before your own father»⁽⁷⁾.

- أكشِف عن مالك قبل أبيك.

(1) المرجع نفسه، ص 161.

(2) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases,p 82.

(3) المرجع نفسه ص 144.

(4)(5) المرجع نفسه ص 283.

(6) المرجع نفسه ص 324.

(7) المرجع نفسه ص 351.

«Money is a good passport»⁽¹⁾.

- المال جواز سفر جيّد.

و من خلال الأمثال الموالية يضع الإسباني المال في المقام الأول، إذ به تتحدد مكانة الإنسان في المجتمع لا بشيء آخر:

«Don't offer me advice but money»⁽²⁾.

- لا تمنحني نصيحة، امنحني مالا.

«So money gets money»⁽³⁾.

- كذلك المال يأتي بالمال.

« With money you would not know yourself, without money nobody would know you»⁽⁴⁾.

- بالمال لا تعرف نفسك، بدونه لا يعرفك أحد.

و لا يخالفه المثل الإيطالي التالي في هذه النظرة حين يقول:

«Fortune, and go to sleep»⁽⁵⁾.

- اجمع الثروة، ثم اذهب لتنام.

«Fortunes, heaven-born gifts»⁽⁶⁾.

- الثروات منحة الجنة عند الولادة.

و لا يبالغ الروس في رأيهم بأن تأثير المال يكون حتى على سلطة القانون، و طبعا حين يحدث هذا الأمر فتلك أمانة من أمارات الفساد:

«A golden handshake convinces even the skeptical judge»⁽⁷⁾.

- الأيدي الذهبية تُقنع حتى أكثر القضاة صرامة.

(1)Wolfgan Mieder, Proverbs, p 92.

(4-3-2) <http://www.proverbatim.com/spanishe>

(6-5)<http://www.proverbatim.com/italian>

(7)<http://www.proverbatim.com/russian/>

و نعود و نكرر، عند البعض لا سُلطة تعلو فوق سُلطة المال، يقول المثل الفرنسي:
« Contre fortune force aucune »⁽¹⁾.

- لا توجد قوة ضد الثروة.

« Point de raison en fortune »⁽²⁾.

- لا وجود للمنطق مع الثروة.

«Où l'or parle, toute langue se tait»⁽³⁾.

- أينما نطق الذهب سكت اللسان.

و على المنهج نفسه يسير الإنجليز:

«Love does much, but money does more»⁽⁴⁾.

- الحب يفعل الكثير، لكن المال يفعل أكثر.

«No sense against gold»⁽⁵⁾.

- لا منطق ضدّ الذهب.

«Love does much; money does everything»⁽⁶⁾.

- الحب يفعل الكثير و المال يفعل كل شيء.

(1)Leroux de lincy, le Livre des proverbes de français, tome 02, p 277.

(2) المرجع نفسه، ص 293.

(3) Bouken Bachir / Amare Abelkader, Dictionnaire des proverbes et locutions
proverbiales Français- Allemand- Arabe-Latin, p 97.

(4) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, p 270.

(5) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases 292.

(6)<http://cogweb.ucla.edu/discours/proverbs/english-spanish.html>

«Possession is nine parts tenths of the law»⁽¹⁾.

- الحيازة هي تسعة أعشار القانون.

«Money is the key that opens all doors»⁽²⁾.

- المال هو المفتاح الذي يفتح كل الأبواب.

«Money can buy the devil himself»⁽³⁾.

- بوسع المال شراء الشيطان نفسه.

«Money can move even the gods»⁽⁴⁾.

- المال يستطيع تحريك حتى الآلهة.

أما الألمان و بكل بساطة يعدونه قوة من قوى الحياة:

«Money is power»⁽⁵⁾.

- المال قوة.

و لم يخطئ الإيطاليون عندما يعتبرون استغلال المال و الصداقة(شهادة الزور) من الأمور العادية التي كانت و لا تزال تستعمل في محاربة العدالة:

«Money and friendship break the arms of justice»⁽⁶⁾.

- المال و الصداقة تكسر أسلحة العدالة.

(1)<http://cogweb.ucla.edu/discours/proverbs/english-spanish.html>

(4-3-2)<http://bbs.24.com/thread-84490-1-1.html>

(6-5)<http://www.proverbatim.com/dutch/>

أوجه الاختلاف:

إذا كان من الطبيعي أن يتوارث الأبناء أمراضهم الجسدية، في كثير من الأحيان، عن آبائهم و أجدادهم، فإن المسألة أحياناً يتعدى ذلك أيضاً إلى الأمراض النفسية و السلوكية، فالفرد يكتسب عاداته و تقاليده من مجتمعه بدءاً من الأسرة، فإذا ربطنا قضية البخل و مرجعيته بهذه الحقيقة سنجد المثل العربي التالي يوافق هذا الاتجاه:

« يعطي الثوب مَنْ كان أباه لبّاسه»⁽¹⁾.

بينما يرى المثل الفرنسي التالي العكس:

«A père avare, enfant prodigue»⁽²⁾.

- لأب بخيل ولد مبدّر.

و يمكن تحليل ذلك بأن الفرد الغربي أكثر استقلالية، على خلاف العربي فإنه أكثر تشبثاً بمحيطه، كما أن للأب العربي سلطة على أولاده، يفرض عليهم قناعاته مهما كانت طبيعتها. و حين يُخيّر الشخص العاقل بين الصديق و الثروة فإنه يفضل الأول، بعكس ناس آخرين، فإنهم لا يصادقون إلا الأغنياء، و هو ما نجده في أمثال عديدة، منها الإنجليزية التالية:

«A rich friend is a treasure»⁽³⁾.

- الصديق الغني كنز.

«Old friends and old wine and gold are best»⁽⁴⁾.

- الأصدقاء القدامى، النبيذ القديم، و الذهب هم الأفضل.

بينما يرى الصينيون أيضاً أن الصداقة تبنى على التوازن بين فئات الناس، فلا الغني يتنازل ليصادق الفقير و لا الفقير يتجرأ و يتقرب من الأول :

(1) قادة بوتران، الأمثال الشعبية الجزائرية، دار الحضارة ، ص 117.

(2)Dournon, Le dictionnaire des proverbes et dictons de France, p 34.

(3) Carew Hazlitt , English Proverbs and Proverbial Phrases, p 32.

(4)<http://cogweb.ucla.edu/discours/proverbs/english-spanish.html>

«I have money; you have money; so we are friends»⁽¹⁾.

أملك مالا، تملك مالا، إذن نحن أصدقاء.

أما تفسير هذا الميل فيمكن أن يرجع إلى كون المصلحة المادية تشكل حيزا أساسيا في

علاقات الفرد غير العربي بالآخرين، بما فيهم الأهل و الأصدقاء.

خلاصة هذه المقارنة الموجزة تُظهر مدى اتفاق معظم الناس رغم الحب الفطري

للثروة، و مهما اختلفت مشاربهم و لغاتهم، حول نظرتهم إلى شخصية البخيل، فهو نحلة

مجتهدة، يكتنز أكبر قدر من المال المتاح، و لكنه يبقى إنسانا تعيسا مثيرا للشفقة ، يُولد

في كثير من الأحيان الاحتقار لدى الناس، و خاصة المقربين، ببساطة لأنه يدّعي أنه يملك

ما لا يملك.

(1)<http://www.proverbatim.com/chinese>

الذاتمة

لا يمكننا أن نخفي سرورنا ونحن ننهي هذا البحث الذي كنا محظوظين فيه، حيث أمكننا أن نصول و نجول في مختلف الفنون و العصور الأدبية العربية والغربية، أملين أن نحيط بالموضوع جمعاً و دراسة، فكانت لنا العديد من وجهات النظر المتعلقة بالقضية المطروحة، و هي عموماً كما يلي:

البخل أو الشح أو التقدير تسميات مختلفة لمفهوم واحد و هو الحب الشديد لاكتناز المال و الامتناع عن إنفاقه، و هو ظاهرة نفسية تتجلى معالمها في سلوكيات صاحبها مع نفسه و مع غيره مما يجعلها ذات بعد اجتماعي بتأثيرها السلبي على الروابط الإنسانية، و هي ليست بالظاهرة المستجدة أو المركزة في محيط معين إذ تتوزع على جميع الأمم سالفاً و أنياً.

و لأن الله أدرى بعباده و أعرف بما ينفعهم و بما يضرهم، فقد نهى عن هذا السلوك المقيت في كتبه السماوية ؛ منها القرآن في العديد من آياته جامعاً إياه غالباً مع الكرم، فلا العطاء إلى حد الإسراف محبذ و لا الاقتصاد إلى درجة الشح مقبول، إذن إنه الاعتدال فيهما. و عندنا في الأنبياء و أولهم الرسول- صلى الله عليه وسلم- ثم الصحابة و الخلف الصالح الأسوة الحسنة، فقد جسدوا نبذهم للبخل فعلاً و ليس قولاً فقط.

على المستوى الأدبي نجد هذا النموذج الإنساني قد استرعى انتباه الأدباء منذ القدم فعبروا عنه بمختلف الأشكال الأدبية: خرافة، مسرحية، رواية، رسالة، مقامة، مثل... و في نظرنا، المسرحية-الهزلية خاصة- هي أحسن الفنون الأدبية تعبيراً عن البخل لمقدرتها على الغور داخل نفسية البخيل و كشفها من خلال تصوير ملامح البخيل و تصرفاته المضحكة تارة و المثيرة للشفقة تارة أخرى هادفة في الأخير إلى توجيه رسالة ذات مغزى و موعظة.

على نطاق الأمثال الشعبية التي كانت محور دراستنا، فإن الكثيرين يعتبرونها تراثاً و حكمة... ويستشهدون بها في أقوالهم و تصرفاتهم.... و كثيراً ما نسمع عبارة "على رأي المثل"، و البعض يعتبرونها لوناً من الفولكلور على أنها في أذهان الريفيين و البسطاء قد ترقى إلى مستوى المبادئ و القيم، يؤمنون بصحتها، و يرون فيها خبرة القدماء، و في علاقة المثل بمسألة البخل و بغض النظر عن مستوى اللغة التي كتب بها فإننا

نجده إلى وصف البخيل أدق و إلى الشمولية و الصدق أقرب بالإضافة إلى تميزه بطابع السخرية في أغلب الأحيان.

و من خلال الأمثال التي أوردناها، تأكد لنا أن الأمم لا تختلف في نظرتها للبخل و البخيل، فهو يعشق الجمع و المنع، ذكي في تحصيل المال، غبيّ في صرفه، يشدد الحرص على عدم تضييع شيء أو إتلافه مهما ضؤل مقداره، و لا ينفق الشيء إلا في وجه كامل صحيح، من وجهة نظره هو بالطبع، كما يكره نفسه أكثر مما يكره غيره دون إدراك منه، لأنه يحرم ذاته من الملذات ليفيد بها غيره فيما بعد.

و الأكيد أنه يسهل علينا أن نتعرف على البخيل من بين جميع الناس، فتصرفاته تفضحه مهما سعى لإخفاء بخله و ما سعيه إلى ذلك إلا اعتراف منه برذالة هذا الخلق. و لكن من الصعب معرفة خبايا هذه النفس، فلا نستطيع إيجاد مبررات له، فما يقوم به ينافي المنطق و العرف الاجتماعي، فهو يجاهد نفسه بتحمل الجوع و المرض، و يعادي غيره من أجل تكديس الثروة، ثم يكتفي بأبسط الأشياء في حياته اليومية، موجدا الحجج لكل سلوك يسلكه، و لا يقبل النقد أو النصيحة، و إذا قام مقام الناصح بدت عبوديته للمال، و أبان عن أسهل السبل للحصول عليه، وأوضح عن أنجع الطرق للحفاظ عليه.

يتظاهر بالفقر، و ينفر من الضيف، و يرحب بدعوات الناس له بشرط ألا يكون مجبرا على ردّها، و أكثر شيء يبخل به البخيل هو الطعام، و يرى الصوم صحة للبدن و إطالة للعمر، ثم في الأخير يخسر الكثير بغية الحفاظ على القليل.

لا شأن له بالعلاقات الاجتماعية بل تقوم حياته على الوحدة و التوحش، لأن في الاجتماع بذل و إنفاق و هو غير قادر على ذلك، كما أنه لا يعترف بالصدقات، و إن أجبر على ذلك فيختار الصديق الغني لأنه يظنه لن يطمع في ما يملك ثم قد يستفيد منه لتنمية ثروته.

و علاقاته الأسرية قائمة على التقدير و القسوة و يرى في ذلك حسن تربية و إبعاد عن الإسراف، و يدفعه طمعه أحيانا إلى التآمر على أبنائه كدفعهم إلى زواج ضد رغباتهم فقط لأنه زواج مصلحة يوسع به من حجم ثروته.

و في ارتباطاته بالآخرين لا يعترف بالصدقات، و إن وجد نفسه مجبرا على ذلك فمن الأثرياء يختار أصدقاءه، لأنه يتوقع بأنهم في غنى عن ماله و قد يستفيد منهم، و أسباب ذلك كله أن بخل المادة يعني بخل الروح، فكما يحبس الشحيح نقوده فهو يحبس مشاعره عن الآخرين، يبقى علينا كدارسين معرفة أيهما يؤدي إلى الآخر؟ و أهما أخطر على الفرد و الجماعة؟

و المثير للإشفاق على البخيل أنه يصنع لحظات سعادته في عشقه للذهب و تكديسه في صناديق بعيدا عن أعين الناس و تفقدها بين الفينة و الأخرى.

و كنتيجة لكل ما سبق فإن البخيل يلاقي دوما نبذا شديدا من المحيطين به، فلا الأبناء يحبونه، و لا الأصدقاء يحترمونه، و من تقرب منه فلاستغلاله فحسب، و عليه يكون دوما مثارا للسخرية و الاحتقار، و ضحية لإيذاء المنتقمين منه، يعيش مذلولاً و يموت كذلك، و لا يُحزن عليه أو يفقده أحد.

تُظهر الآداب الغربية في معظمها- بما فيها الأمثال- الأبناء كرماء عكس آبائهم، بينما نجد عند العرب ابن البخيل أبخل من أبيه، و قد فسرنا ذلك سابق بكون سلطة الوالد العربي على أبنائه أقوى على سلطة الوالد الغربي، و الحرية في العائلة الغربية أوسع مما هي عليه في الأسرة العربية.

أمّا المرأة البخيلة فيتقرب منها العشاق و إن كانت عجوزا، لا حبا فيها بل حبا فيما تملك و بمجرد الحصول عليه تُهجر.

إذن، إذا كانت حياة البخيل تعيسة فإن نهايته أتعس، و يكون ماله في كثير من المرات سببا في هذه النهاية، فقد يسرق أو يحتال عليه أو يكون سببا في قتله من قبل الأقرباء قبل البُعداء. الأمر المثير للانتباه أيضا أنه بقدر ما يمقت الناس للبخيل بقدر ما يقصدون للمال إلى درجة عدها سلطة تقهر أية سلطة، و قد أوردنا عدة أمثال تؤكد ذلك.

و لمّا يُقارن المال في الأمثال الأعجمية يُربط أحيانا بالخمرة و المرأة، لأنهما بالإضافة إلى الثروة هما مصدر لذة لدى الإنسان.

على مستوى أسلوب الأمثال، و جدنا التشبيه و الكناية أكثر التعابير البلاغية استعمالا وهي مستمدة من البيئة المحيطة.

لنا أن نؤكد في الأخير، بأن موضوعنا يبقى كأبي موضوع آخر قابلاً للتوسيع و
التجديد، فبالإضافة إلى الدراسات الأدبية يمكن لعلماء النفس تحليل نفسية
البخيل المريضة، و لعلماء الاجتماع مجال رحب لدراسة آثار البخل على العلاقات
الاجتماعية، و لعلماء التربية دورهم في دراسة آثار البيئة البخيلة على اتجاهات
الأبناء، و لعلماء الاقتصاد مجال لدراسة العلاقة بين البخل و تنمية الثروة.

مادہ ۱۰

أمثال حول البخل لمجموعة من المشاهير:

La prodigalité conduit à l'arrogance et la parcimonie à
L'avarice. L'avarice est pire que l'arrogance.

Confucius

L'avarice perd tout en voulant tout gagner.

Jean de la Fontaine

L'avarice commence où la pauvreté cesse.

Honoré de Balzac

De tout les péchés, l'avarice est le plus avantageux.

Marcel Aymé

La pruderie est une espèce, la pire de toutes.

Stendhal

L'avarice est le pire défaut qui existe, si on compte ses
sous, on compte aussi ses sentiments.

Michel Audiard

Souvent les gens perdent leur fortune par ambition et par
avarice.

Montesquieu

L'intelligence qui vit d'elle-même thésaurise. Elle dessèche
comme l'avarice.

Léon-Paul Farguel

L'ambition des pauvres ne va pas sans avarice.

André Major

Le théâtre, c'est la générosité, le cinéma, c'est l'avarice.
La caméra vient nous chercher, il faut tout garder.
Le théâtre est le véritable espace d'expression du
comédien.

George Cukor

L'astronomie née de la superstition ; l'éloquence de
L'ambition de la haine, de la flatterie, du mensonge ; la
géométrie de l'avarice ; la physique d'une vaine
curiosité ; toutes et la morale, même, de l'orgueil humain.

Jean-Jacques Rousseau

Les nouveaux maîtres du monde sont riches et ne voient
rien d'autre que leur richesse.

Sébastien Lapaque

L'ambition, l'avarice, la haine tiennent comme un forçat
son esprit à la chaîne.

Nicolas Boileau

Prenez garde que l'avarice gagne peu et qu'elle se
deshonore beaucoup.

Nicolas Boileau

Le prodigue vole ses héritiers, l'avare se prive.

Jean de La Bruyère

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

المراجع باللغة العربية:

- 01- الأبشيهي بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور ، المستطرف في كل فن مستظرف، دار صادر، بيروت، ط3، 2007.
- 02- أمين أحمد، قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية، القاهرة، ط1، 1953.
- 03- البغدادي حمد بن علي بن ثابت الخطيب، البخلاء، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 2000.
- 04- بن أبي طالب علي ، نهج البلاغة، جمع: أبو الحسن محمد الرضي الحسن الموسوي، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، ط3، 1991.
- 05- بن عبد ربه أحمد بن محمد، الجوهرة في المثل، من كتاب العقد الفريد، ج 2، طبعة المعهد الفرنسي، بيروت، 1953.
- 06- بن عبد ربه أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج 7، دار الكتاب العلمية، ط1، 1983.
- 07- بوتران قادة، الأمثال الشعبية الجزائرية، دار الحضارة.
- 08- تيمور أحمد باشا، الأمثال العامية، دار الكتاب العربي، مصر، ط 2، 1956.
- 09- الجاحظ أبو عثمان بن بحر بن محبوب الحلقي، البخلاء، شركة ابن باديس للكتاب، الجزائر، ط1، 2009.
- 10- الحريري أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، مقامات الحريري، مطبعة المعارف بيروت، 1873.
- 11- حمود ماجدة، مقاربات في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000.
- 12- الحناجري وفاء، الأمثال الشعبية في حياتنا اليومية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط 3.
- 13- خدوسي رابح، موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية، دار الحضارة، ط 3، 2000.
- 14- دانتي أليغييري، الكوميديا الإلهية(الجحيم)، ترجمة حسن عثمان، دار المعارف، ط 2، 1988.

- 15- الربيع محمد عبد الرحمن، **نوادير البخلاء** (نصوص و دراسة)، دار الشروق، بيروت، ط 10، 1999.
- 16- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، **مقامات الزمخشري**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2003.
- 17- سعد فاروق، **مع بخلاء الجاحظ**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 6، 1992.
- 18- السيوطي عبد الرحمان جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة و أنواعها**، مج 1، دار إحياء الكتب، القاهرة، ط 3، 1958.
- 19- شكسبير ويليم، **تاجر البندقية**، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1990 .
- 20- شوقي أحمد، **مسرحيات شوقي (البخيلة)**، ج 2، موفم للنشر، الجزائر، 1993.
- 21- شمس الدين إبراهيم، **قصص العرب**، ج 1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2002.
- 22- صالح أحمد رشدي، **فنون الأدب الشعبي**، دار القلم، القاهرة.
- 23- عبد السلام حسن، **نحن المعمرون**، دار المعارف، القاهرة، 1952.
- 24- عبد اللطيف محمد بن عبد الوهاب، **موسوعة الأمثال القرآنية**، ج 1، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1993.
- 25- العقاد عباس محمود، **الفصول**، المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد، القاهرة، ط 1، 1966.
- 26- الغمري مكارم، **الرواية الروسية في القرن التاسع عشر**، عالم المعرفة، الكويت، 1981 .
- 27- غنيمي هلال محمد، **الأدب المقارن**، دار العودة و دار الثقافة، بيروت ، ط 5.
- 28- الفاخوري حنا، **الموجز في الأدب العربي و تاريخه**، مج 2، دار الجيل، لبنان، 2003.
- 29- كراب، **علم الفلكلور**، ترجمة صالح رشدي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967.
- 30- الكيلاني كامل، **أساطير العالم**، دار المعارف، مصر ، ط 11، 1991.

31- مبيّض محمد سعيد، الحكم و الأمثال الشعبية في الديار الشامية، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ط1، 1986.

32- المنفلوطي مصطفى لطفي، النظرات ج1، الجزائر، 1988.

33- الميداني أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

34- الميداني أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال، ج 1، دار صادر، بيروت، ط 1، 2002.

الدوريات و المجلات:

01- مرتاض عبد المالك ، دلالة الأمثال و الحكم الشعبية على نقاوة عاميتها، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الإعلام و الثقافة بالجزائر، العدد 25، السنة الخامسة، 1975.

- 01- Boisard j.f, *Fables*, tome 1, Germain Mathiot, Paris, 1817.
- 02- Boisrobert, *La belle plaideuse*, guillaume de luyne, Paris, 1655.
- 03- Bret antoine, *Fables orientales et poésies diverses*, tome1, a l'imprimerie Ducale, 1772.
- 04- Collins john churton, *The plays and poems of Cyril Tourneur*, tome1, Chatto and Windus Piccadilly, London, 1878.
- 05-Dalban j.b.p, *Poésies diverses et pièces de théâtre*, Pochard, Paris, 1824.
- 06- Dickens charles, *Contes de Noël, Chant de Noël*, Hachette, Paris,1936.
- 07- Ésope, *Fables*, Arléa, 1994.
- 08- Gogol vassilievitch Nikolai, *Les Âmes Mortes*, tome1, tra : Ernest Charrière,Hachette, 2006.
- 09- Gldoni carlo, *l'Avare*, tra : Elie-André Clot, A. Rey, imprimeur-Editeur, Lyon, 1917.
- 10- Grozelier nicolas, *Fables Nouvelles*, chez Desaint & Saillant, Paris, 1760.
- 11- Hazlitt carew, *English Proverbs and Proverbial Phrases*, Whittingham and Wilkins, London, 1869.
- 12- Labiche eugene, *Théâtre complet d'Eugene Labiche*, tome 6, Calmann Levy, Paris, 1892.
- 13- La fontaine jean de, *Contes libertaine*, Maxi-Livres, France, 2001.
- 14- La fontaine jean de, *Fables*, édition Talantikiti, Bejaia.

- 15- Lemiers h.p. de, *les œuvres de Plaute*, tome 02, Aux dépenses de la Compagnie, Amsterdam, 1719.
- 16- Lincy leroux de, *Le Livre des proverbes de français*, tome 01, Adolphe Delahays, 2 em édition, Paris, 1859.
- 17- Massinger philipe, *A New way to pay old debts*, Aldine House, London, 1904.
- 18- Molière jean baptiste poquelin, *l'Avare*, Pocket, Paris, 2007.
- 19- Mieder wolfgan, *Proverbs*, Greenwood Publishing Group, 2004.
- 20- Phèdre, *Fables de Phèdre*, Cil, F, Danckoucke, Paris.
- 21- Pouchkine alexandre, *Poèmes dramatiques*, Hachette, Paris, 1862
- 22- Schmelz joseph, *Choix de Fables allemandes*, Haguenau, 1863.
- 23- Scott walter, *Ivanhoe*, Macmillan and Co, London, 1904.
- 24- Shappuzeau samuel, *l'Avare duppé, ou l'Homme de paille*, Guiaume de luyne, Paris, 1662.
- 25- Talbot eugène, *Aristophane*, tome 2, Alfonse lemerre éditeur, Paris, 1897.

Usuels (القواميس) :

- 01- Bouken Bachir / Amare Abdelkader, *Dictionnaire des proverbes et locutions proverbiales Français- Allemand- Arabe-Latin*, l'aboratoire de recherche ouvrages du supérieur.
- 02- Dournon, *Le dictionnaire des proverbes et dictons de France*, Hachette, 1993.

**03- *Dictionnaire des œuvres et des thèmes de la littérature française*,
Hachette, 1990.**

**04- Hajjarr josephe.n, *Mounged des proverbes, sentences et xpressions
idiomatiques*, Français-Arabe, Arabe- Français, dar el-machreq,
Beyrouth, 1983.**

Sitographie(العناوين الإلكترونية):

http://fr.wikipedia.org/wiki/Le_Juif_de_Malte

http://fr.wikipedia.org/wiki/Le_Chevalier_avare

<http://forum.montadayatbh.net/showthread.php>

<http://www.special-dectionary.com/proverbs/keyword/avarice>

<http://bbs.24.com/thread-84490-1-1.html>

<http://cogweb.ucla.edu/discours/proverbs/english-spanish.html>

<http://www.proverbatim.com/chinese>

<http://pagesperso-orange.fr>

<http://pagesperso-orange.fr>

<http://www.proverbatim.com/spanishe>

<http://www.proverbatim.com/dutch/>

<http://www.proverbatim.com/italian>

<http://www.proverbatim.com/russian/>

الفهرس:

شكر و تقدير

الإهداء

المقدمة: 01.....

الفصل الأول: البخل في الآداب العالمية

(جمع و تصنيف).....08

1- الباب الأول: في الأدب العربي.....09

* القرآن.....10

* الحديث.....12

* في الفنون الأدبية.....15

- الشعر.....15

- المقامة.....19

- القصة.....21

- الرسالة.....24

- المقالة.....26

- من أقوال علي- كرم الله وجهه- المأثورة.....29

- المسرحية.....31

- الدراما.....32

2- الباب الثاني: في الأدب الغربي.....33

- الخرافة و الأسطورة.....34

- المسرحية.....40

- الرواية.....49

- الملحمة.....55

- السينما.....56

الفصل الثاني: ظاهرة البخل في الأمثال الشعبية عامة

- 57.....(عرض و دراسة)
- 58.....أ/ نظرة عامة حول المثل
- 58.....1/ مفهومه
- 61.....2/أنواعه انطلاقا من منابعه
- 61.....* المثل القرآني
- 62.....* المثل النبوي
- 62.....* المثل القصصي
- 63.....* المثل الناشئ عن تشبيهه
- 63.....* المثل الناشئ عن حكمة
- 64.....* المثل الناشئ عن شعر
- 64.....* المثل العامي
- 64.....3/ الفرق بين المثل و الحكمة و النادرة
- 65.....4/ فائدة المثل
- 68.....5/ بعض الأمثال الفصيحة المتناولة للبخل
- 71.....ب/ دراسة مقارنة لقضية البخل في الأمثال الشعبية العالمية
- 72.....- البخل أساسه الطمع
- 75.....- البخيل ذكي في الجمع غبي في العيش
- 77.....- البخيل لا يوجد إلا بما ليس له قيمة
- 78.....- ما يملكه البخيل عائد دائما للغير
- 80.....- البخيل لا يُحِب و لا يُحَب
- 84.....- البخيل منبوذ مُستَعَل
- 85.....- السعادة تكمن في القناعة
- 87.....- السعادة في مشاركة الآخرين

90.....	- حياة البخيل تعيسة و نهايته أتعس.....
93.....	- الثروة قوة و صاحبها سيد.....
98.....	* أوجه الاختلاف.....
100.....	الخاتمة.....
104.....	قائمة المصادر و المراجع.....
111.....	الملحق.....
114.....	الفهرس.....